



United Nations
Educational, Scientific and
Cultural Organization

Organisation
des Nations Unies
pour l'éducation,
la science et la culture

Organización
de las Naciones Unidas
para la Educación,
la Ciencia y la Cultura

Организация
Объединенных Наций по
вопросам образования,
науки и культуры

منظمة الأمم المتحدة
للتربية والعلم والثقافة

联合国教育、
科学及文化组织

باتريس فرمرين

اليونسكو والفلسفة

ترجمه إلى العربية

شهاب الصراف

باتريس فرميرين مؤسس مشارك لجمعية الدولية للفلسفة، وباحث في المجلس الوطني للبحث العلمي وخبير لدى قسم الفلسفة في اليونسكو، وهو حالياً أستاذ الفلسفة في جامعة باريس الثامنة وأستاذ فخري في جامعة شيلى.

إن الأفكار والآراء المعروضة في هذا المصنف هي للمؤلف ولا تعبر بالضرورة عن وجهات نظر اليونسكو.

والتسميات المستخدمة في هذا المطبوع وطريقة عرض مواده لا تعبر ضمناً عن أي رأي لليونسكو بشأن الوضع القانوني لأي بلد أو إقليم أو مدينة أو منطقة، ولا بشأن سلطات هذه الأماكن أو رسم حدودها أو تخومها.

صدرت النسخة الفرنسية في عام 2003
عن منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة (اليونسكو)

7, place de Fontenoy, 75350 Paris 07 SP

قطاع العلوم الاجتماعية والإنسانية

قسم الاستشراف والفلسفة والعلوم الإنسانية

رمز الوثيقة: SHS/2003/PI/H/1

اليونسكو والفلسفة

شكر

إلى

مفيدة غوشة، وميكا شينو، وينس بويل، ومحمود غندر،
ورينيه زاباتا

وإلى

فريال آيت أويحيى، وفيرونيك أديبير، ويوردانيس
آرزو غلو، وكريستينا بالالوفسكا، وجان-غودفروا بيدديما،
وآيساتا بوندي، وأرنو دروي، وماري جوزيه لالار.

المحتويات

توطئة بقلم بيير ساني: لا وجود لليونسكو بدون فلسفة

تمهيد المؤلف: اليونسكو والفلسفة

الفصل الأول: اليونسكو يوطوبيا فلسفية

الفصل الثاني: سارتر ضيف المؤتمر العام

الفصل الثالث: الحد الأدنى لاتفاق العقول

الفصل الرابع: مسألة حقوق الإنسان

الفصل الخامس: ديوجين، البوصلة الذهنية والتدامج التكاملي بين العلوم الإنسانية

الفصل السادس: اللغة اليونسكوية

الفصل السابع: اليونسكو حسب أرسطو و عمانوئيل كانط و جاك دريدا

الفصل الثامن: الطبيعة الإنسانية وثقافة السلام

الفصل التاسع: التعليم الفلسفي والديمقراطية في العالم

الفصل العاشر: من سانتياغو دي شيلي إلى سيول/ ومن تونس إلى مونتريال/ ومن

أنقرة إلى كراكاس أو باريس: كراسي اليونسكو الجامعية

الفصل الحادي عشر: من اللقاءات الفلسفية إلى اليوم العالمي للفلسفة: الفلسفة

لجميع

توطئة

لا وجود لليونسكو بدون فلسفة

لقد ارتبطت اليونسكو على الدوام بوشائج متينة مع الفلسفة. ولكن ليس من منظور تأملي تجريدي أو تقنيي وإنما بطرح تساؤلات نقدية تعطي معنى للحياة والعمل على الصعيد الدولي.

واليونسكو ذاتها ولدت من رحم التساؤلات عن الشروط اللازمة لإحلال السلام والأمن في العالم على نحو دائم: أي أنها جواب مؤسسي على سؤال فلسفي سبق وأن طرحه الراهب سانت بيبير وإيمانويل كانط. ويمكن القول أنها بالفعل مؤسسة فلسفية لأنها تستهدف من خلال التربية والعلم والثقافة الإسهام في صون السلم والأمن عن طريق توثيق عرى التعاون بين الأمم، لضمان الاحترام الشامل للعدالة والقانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس كافة دون تمييز بسبب العنصر أو الجنس أو اللغة أو الدين، كما أقرها ميثاق الأمم المتحدة. وهي غاية لها مفهوم فلسفي للعدل وحقوق الإنسان وتاريخ العالم تسعى إلى إحقاقه بوسائل هي ذاتها فلسفية.

ولعل من الأفضل القول بأن اليونسكو ليست لها فلسفة بالمعنى الحقيقي لأنها اختارت لنفسها أن تكون المنبر المفضل للتبادل والتحاور بين مختلف التجارب الفكرية والثقافية في العالم. وإنما نقول بالأحرى أن اليونسكو فلسفة بحد ذاتها. وانطلاقاً من هذه الفلسفة يمكن صنع تاريخ اليونسكو. فاليونسكو تستقرئ ذاكرة تراثها لتصنع وتجدد حاضرها بما يتفق وميثاقها التأسيسي. ولهذا التراث أوجه وقراءات متنوعة منها قراءة باتريس فيرميرن الذي يصف لنا هنا كيف حلت الفلسفة في اليونسكو. ولهذه القراءة فضل في تأكيد وترسيخ ما ألزمتنا به أنفسنا أي العمل على تعزيز هذا التراث والإسهام بكافة الوسائل المتاحة في الترويج لثقافة فلسفية على النطاق العالمي.

وآمل أن يصبح قطاع العلوم الاجتماعية والإنسانية مختبراً حقيقياً للأفكار والاستباق وموقعا دولياً للبحث والتأمل والتبادل ووضع المبادئ والمعايير والسياسات في مجالات الاستشراف والعلوم الاجتماعية والإنسانية والفلسفة

وحقوق الإنسان وأخلاقيات العلوم والتكنولوجيا. دعونا نسخر قوة الأفكار من أجل التأثير على التحولات الاجتماعية. وعلى هذا الدرب لا بد من التعرّيج على "المنعطف الفلسفي" – أستعير هنا عبارة جان هيرش الجميلة الواردة في دراستها الشهيرة التي أعدتها بطلب من اليونسكو عن حقوق الإنسان من منظور فلسفي – الذي بات يفرض نفسه علينا يوماً بعد آخر، واليوم أكثر من أي وقت مضى.

بيير سانيه

مساعد المدير العام للعلوم الاجتماعية والإنسانية

اليونسكو والفلسفة

ما هي علاقة اليونسكو بالفلسفة؟ الجواب على هذا السؤال البسيط له جوانب متعددة.

فهو يكمن بدءا في الميثاق التأسيسي الذي يرى أن صون السلام يعتمد على التفاهم بين الثقافات والتبادل الحر للأفكار والمعارف. وبعد ذلك بعشرين عاما يأتي رينيه ماهو، أستاذ الفلسفة الذي أصبح مديرا عاما لليونسكو، ليقول "إن بناء السلام مهنة الفيلسوف وإن نشاط اليونسكو هو فعل فلسفي بامتياز، لأنه مستمد في جوهره من الوعي بكلية الإنسان مفهوما وامتدادا"¹.

ولا يقتصر البعد الفلسفي على عمل اليونسكو بل يشمل أيضا طبيعتها وبنيتها كمؤسسة، إذ كما يقول جاك دريدا ليست المفاهيم التي تشرعن عمل المنظمة وحدها تتمتع ببعد فلسفي يستبطنه ميثاق اليونسكو ولكن قيام مؤسسة من هذا النوع يعني أيضا انبعاث ثقافة ولغة لهما بعدهما الفلسفي يمكن تشاطرهما والعمل على إتاحتها لاسيما عن طريق التعليم².

ولكن أن تكون اليونسكو مؤسسة فلسفية لا يحل مشكلة غياب الوجود المؤسسي للفلسفة داخل اليونسكو. ويمكن أن نذهب إلى القول أن الفلسفة في اليونسكو، مع أن لها الحق في أن تكون في كل مكان، عانت وما تزال تعاني من بعض الصعوبات في أن تكون في مكان محدد. هذا على الرغم من أن اليونسكو كان لها منذ البداية برنامج في مجال الفلسفة³، إلا أن الحرص على تجنب المنظمة الخوض في مجادلات خلافية قد تشيع الفرقة بدلا من التوافق أدى إلى إيكال الأنشطة والبحوث الفلسفية التي قد تثير مجادلات أيديولوجية أو سياسية إلى منظمة دولية غير حكومية هي المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية الذي أوكلت إليه أيضا الأنشطة التي يغلب عليها الطابع الأكاديمي في برنامج اليونسكو للفلسفة مثل

¹ رينيه ماهو: رسالة إلى م أ واغنز دي رينا، المندوب الدائم لبيرو لدى اليونسكو، مؤرخة في 29 كانون الثاني/يناير 1968.

² من دراسة فلسفية قدمها جاك داريدا إلى مؤتمر عقد في اليونسكو في 23 أيار/مايو 1991 تحمل عنوان:

Le droit à la philosophie de point de vue cosmopolitique, Edition UNESCO-Verdier 1997

³ مذكرة عن برنامج اليونسكو للفلسفة (باللغة الفرنسية)، صادرة عن شعبة الفلسفة التابعة للجنة الآداب بتاريخ 22 حزيران/يونيو 1946، محفوظات اليونسكو.

المؤتمرات والتوثيق الجيوبولوجرافي وخلصات الأنشطة والإسهامات الفلسفية والمعهد الدولي للفلسفة.

وقد ضُمت الفلسفة بداية إلى العلوم الاجتماعية في الهيكل التنظيمي لليونسكو ثم انتقلت إلى دائرة الأنشطة الثقافية التي كان يديرها جان توماس بالتعاون مع جاك هافيت وبالارتباط مع العلوم الاجتماعية. وتغير الوضع بمجيء رينيه ماهو حيث أنشأ عام 1964 قسم الفلسفة تحت إشراف مساعد المدير العام للعلوم الاجتماعية والإنسانية والثقافة. وفي عام 1995 فصل قسم الفلسفة عن العلوم الإنسانية ووضع تحت إشراف الإدارة العامة، ثم عاد أخيراً في عام 2000 إلى قطاع العلوم الاجتماعية والإنسانية.

بيد أن الإطار المؤسسي للفلسفة داخل اليونسكو لا يمثل ربما المسألة الأهم في علاقة المنظمة بالفلسفة. ذلك أن الوسط الفلسفي برموزه وأنشطته ظل على الدوام موضع اهتمام اليونسكو التي لم تنفك تدعو أبرز ممثليه إلى الاجتماع من أجل التأمل في القضايا العالمية الكبرى وبغية نشر الأعمال الفلسفية الهامة وتعزيز فهمها، وذلك ليس فقط عن طريق الكتاب وإنما أيضاً من خلال الوسائل السمعية والبصرية والمعلوماتية، وكذلك من أجل دعم التعليم الفلسفي باعتباره واسطة للتدريب على امتلاك النظرة النقدية والحررة التي تفضي بصاحبها إلى فهم أفضل لعالمية الإنسان وإلى امتلاكه الشعور بالمسؤولية كمواطن في عملية بناء عولمة بوجه إنساني. وإن اتباع هذا النهج الفلسفي لليونسكو من جديد اليوم وإعادة التذكير ببعض الأحداث الفلسفية التي طرأت في هذه الأثناء يعني إيجاد أجوبة جديدة على السؤال المطروح، أي لماذا تبنت اليونسكو الفلسفة؟

اليونسكو يوطوبيا فلسفية

لقد كانت اليونسكو على الدوام وثيقة الصلة بالفلسفة. فالمُثل العليا التي يقوم عليها ميثاقها التأسيسي تنبع من معين التراث الفلسفي. كما استعانت المنظمة منذ نشأتها بالفلسفة لوضع هذه المثل موضع تطبيق.

المبادئ الفلسفية ووعد الميثاق التأسيسي

في عام 1942، ومآل الحرب العالمية الثانية كان لا يزال في غياهب المجهول، اجتمع وزراء التعليم في الدول الحليفة من أجل إنشاء مؤسسة تسهم عن طريق وسائل فكرية وأخلاقية في بناء عالم لا مكان فيه للكراهية والتعصب والظلامية. وفي المؤتمر الأول للمنظمة الجديدة (لندن 1945) اعتبر ليون بلوم، نائب رئيس الجمهورية، أن الحرب العالمية الثانية كانت حرباً أيديولوجية بالأساس وقال لقد بينت الحرب أن بالإمكان استغلال حتى التعليم والثقافة والعلم ضد المصالح المشتركة للإنسانية. لذلك لا يكفي الارتقاء بهذه المجالات المعرفية الثلاثة على النحو الأكمل وإنما "ينبغي توجيهها توجيها واضحا صوب أيديولوجية الديمقراطية والتقدم باعتبارها الشرط النفسي والعامل النفسي للتضامن الدولي والسلام".

وقد ورد في ديباجة الميثاق التأسيسي المعتمد في 16 تشرين الثاني/نوفمبر 1945 أن الحرب نشبت بسبب "التنكر للكرامة والمساواة والاحترام للذات الإنسانية". وبهذا ألصقت مسؤولية وقوع الحرب بالجهل والتعصب واستغلالهما على النحو الذي تم وليس بانحراف التعليم والثقافة والعلم. غير أن هذا الموقف لا يقدم جوابا قاطعا على التساؤل الآتي: هل يكفي التعليم وحده لضمان "صون السلم والأمن... ولضمان الاحترام الشامل للعدالة والقانون وحقوق الإنسان والحريات الأساسية للناس كافة"؟ أم ينبغي توجيه الأنشطة الفكرية صوب نموذج أخلاقي وسياسي وإن كان ينطوي على إمكانية تقييد حرية الفكر؟ لقد ترك مؤسسو اليونسكو الباب مفتوحا بلباقة أمام أنشطة المنظمة لتثبت مصداقيتها استنادا إلى هذا الخيار أو ذلك.

وظلت المؤسسة تستبطن الثقة بقدرات العقل الإنساني عندما يتعلم ويتنور توأصلا مع ارث الفلسفة في عصر النور.

كيف نفهم انطلاقاً من هذا دلالة العبارة الأولى التي استفتحت بها ديباجة الميثاق التأسيسي والتي صاغها الشاعر أرشيبالد ماكليش مندوب الولايات المتحدة الأمريكية في مؤتمر لندن: "الحروب تتولد في عقول البشر"؟ هذه العبارة الفلسفية لا تلغي وجود أسباب اجتماعية واقتصادية وسياسية للحرب والجواب على هذا التساؤل يكمن ربما في بقية هذه العبارة التي تسمح بتعيين مجال محدد للنشاط وبرنامج عملي: "ففي عقولهم (أي البشر) يجب أن تبنى حصون السلام". لقد استلهمت هذه العبارة بمجملها من مقال لألدوس هكسلي عن الأسباب السيكولوجية للحرب (رسالة عن الحرب وسيكولوجية الفرد) نشر في مجلة Correspondance الصادرة عن المعهد الدولي للتعاون الفكري في عام 1934، إذ يقول فيها: "ينبغي للذين يبعثون السلام أن يقتلعوا شرور الحرب من جذورها". إلا أن عبارة الميثاق التأسيسي تذهب إلى أبعد من ذلك حين ترى أن السبيل إلى تحقيق السلام يكمن في تطوير الاتصال والتبادل (ليس فقط بين الحكومات أو بين رجال العلم وإنما أيضاً بين شعوب العالم) على نحو يعزز التعارف والتفاهم بين البشر. وحسب التسلسل المنطقي لمبادئ وأهداف الميثاق التأسيسي فإن التبادل الحر للأفكار والمعارف يسمح بالتعارف بين البشر وهذا التعارف يسمح بالتفاهم الذي يقود بدوره إلى "التضامن الفكري والمعنوي بين بني البشر" الذي يشكل الركيزة الوحيدة لسلام حقيقي ودائم. وربما تكمن روح اليونسكو الطوباوية كلها في نزوعها نحو تحقيق "تفاهم دولي" يراهن على قدرة عالم الأفكار وقوته المنظمة. وهذا الوعد يتطلع، كأى وعد آخر، إلى مستقبل يختلف عن الحاضر ويستند إلى المصير المشترك لبني البشر الذين يجمعهم الإحساس بالانتماء إلى مجتمع إنساني واحد وبالعالمية المشاكل التي يواجهونها⁴.

⁴ أنظر: Jacques Havet : « L'UNESCO au service de la paix », dans La guerre et les philosophes de la fin Vincennes, 1992 des années 20 aux années 50 textes réunis et présentés par Philippe Soulez Paris, Presses Universitaires de pages 159-170

ومن المعلوم أنه كان يوجد تحفظ لدى البعض على إدراج مفردة العلم ورمزها الحرفي في عنوان المنظمة واسمها المختصر باعتبار أن العلم يشكل جزءاً من الثقافة. وقد انبرى كل من جوزيف نيدهام وجوليان هكسلي، يدعمهما ايلين ويلكنسون وزير التعليم في المملكة المتحدة، للدفاع عن استقلالية العلم وضرورة إدراجه كحقل معرفي قائم بذاته وباسمه ورمزه ضمن عنوان واختصاص المنظمة.

برنامج اليونسكو للفلسفة

في 26 حزيران/يونيو 1946 تلقت الشعبة الفرعية المعنية بالفلسفة التابعة للجنة الآداب والفلسفة مذكرة خاصة ببرنامج اليونسكو للفلسفة لغرض مناقشتها. وقد ورد فيها أن وضع الفلسفة يدعو إلى تدخل فعال من طرف اليونسكو. فالحرب قطعت الاتصال بين الفلاسفة في العالم، وعاش الطلاب والجامعات في عزلة، والكتب والنشريات لم تجد طريقاً إلى التوزيع. والأدهى من ذلك أن المفاهيم الفلسفية حُرقت واستغلتها الدول الشمولية لأغراض دعائية. وحتى لدى الشعوب التي تنعم بنظم وتقاليد ديمقراطية تراجعت المبادئ التي تكفل كرامة الإنسان أمام سطوة المفاهيم العملية وثقافة الفعالية.

بناء على ذلك، ستعمل اليونسكو ليس فقط على مواصلة وتكثيف النشاط الذي جرى في السابق بالإمكانات المحدودة للمعهد الدولي للتعاون الفكري، أي تعزيز الاتصال بين الفلاسفة من شتى الأمم في العالم، وإنما تسعى أيضاً إلى نشر وتطبيق وتعميم ثقافة فلسفية ذات طابع عالمي. ذلك لأن الهدف الأساسي للمنظمة يتمثل في الارتقاء بعقل الإنسان أينما كان إلى مستوى الوعي بواجب التضامن الإنساني؛ وعلى صعيد الفلسفة، ستعمل على إشباع وعي الجمهور بعدد من المفاهيم الفلسفية والأخلاقية تمثل الحد الأدنى اللازم لتأمين احترام الطبيعة الإنسانية وحب السلام والتضامن والتمسك بالثقافة وكرهية النزعة القومية الضيقة ومنطق القوة العمياء.

وعلى هذا تتولى اليونسكو مهمة إتاحة قيمها الفلسفية والأخلاقية للجميع وتقوم في الوقت ذاته بدفع عجلة الدراسات الفلسفية المحضة إلى الأمام. ورأت الوثيقة أنه ينبغي لليونسكو أن تضع نصب عينيها تحقيق هدفين هما: (1) وضع صكوك دولية مناسبة من أجل الارتقاء بالدراسات الفلسفية؛ (2) و تسخير الفلسفة لخدمة التثقيف الدولي للأمم⁵.

ولم تكن الفلسفة في مفهوم مؤسسي اليونسكو تنحصر في مجال التأمل الميتافيزيقي الصرف والمنحى الأخلاقي النظري والتقني و سيكولوجية الفرد وإنما يتسع نطاقها ليشمل المعارف الإنسانية بل والنشاط الإنساني بكافة وجوهه؛ أي أن "نطاقها يناظر في اتساعه مجالات اختصاص اليونسكو نفسها". وعلى ذلك من

⁵ مذكرة عن برنامج اليونسكو للفلسفة مؤرخة في 26 حزيران/يونيو 1946، محفوظات اليونسكو.

الضروري العمل من أجل تعزيز البحوث الفلسفية في العالم ولفت انتباه الفلاسفة إلى المشاكل الإنسانية التي يكمن حلها النظري المفترض في ظهور عالم موحد.

أي أن المطلوب من الناحية العملية هو التالي: (1) تشجيع الدراسات الفلسفية على النطاق العالمي من خلال دعم وتحفيز وتنسيق أنشطة الجمعيات الفلسفية والجامعات ودور النشر؛ وتشجيع اللقاءات بين الفلاسفة من شتى أرجاء العالم وتعزيز الاتصال فيما بينهم؛ وتولي النشر على الصعيد الدولي أو تشجيعه (بيبلوغرافيا، وبيانات، ومخطوطات، وترجمات، ومجلات، وفهرس الترجمات، ومعجم المصطلحات المقابلة)؛ وتشجيع التبادل الدولي بين الأساتذة والطلاب؛ وإضفاء طابع دولي على دراسات الفلسفة في بعض الجامعات والتخصص في دراسة حقل فلسفي محدد. (2) تمكين الفلسفة من الإسهام في صقل عقول ونفوس الجمهور، والعمل على تعريف حقوق الإنسان ولاسيما الفرد في العالم الحديث، ودراسة الحالة الراهنة للحضارة وحالة القلق واللايقين التي تعترى الضمير المعاصر، والحلول اللازمة لهذه الحالة، ونشر أدبيات بخصوص هذه الموضوعات، والمشاركة في تدريب معلمي المرحلة الابتدائية.

وقد اعتمد المؤتمر العام في 1946 معظم نقاط هذا البرنامج ثم انتقل أعضاؤه إلى جامعة السوربون للاستماع إلى كل من سارتر وآبير اللذين طلب منهما إبداء رأيهما بشأن اليونسكو.

صورة:

جان بول سارتر في ندوة كريكغارد، 1964

سارتر ضيف المؤتمر العام

كيف التفكير اليوم في عالم ما بعد الحرب؟ للجواب على هذا السؤال، بادر المؤتمر العام لليونسكو إلى دعوة الفلاسفة والكتاب ورجال العلم الأكثر التزاما بقضايا العصر. و تم تنظيم سبعة وعشرين مؤتمرا في إطار شهر *اليونسكو* في قاعة لويس ليارد في السوربون وفي قصر الاكتشافات تحت إشراف الشاعر الانجليزي ستيفين سبيندير، الخبير في قسم الفنون الإبداعية، وميشيل مونتانييه، المستشار الأول لدى اليونسكو. وبعد المؤتمرات أو الندوات المخصصة لكل من إيمانويل مونييه وبيير بيرتو و أ. ج. آيبر وجان بول سارتر الذين عرضوا مواقفهم ووجهات نظرهم بشأن القضايا التي يتعين على المفكرين مواجهتها آنذاك، تمحور الكلام بصورة أساسية على مجالات اختصاص اليونسكو الثلاثة بدءا بالثقافة حيث جرى التركيز بصورة أكبر على جانب يحظى باهتمام اليونسكو بشكل خاص وهو تداخل الثقافات (والمتكلمون هم أندريه مالرو، ولويس أراغون ، و س. راداكشنان، ولويس ماسينيون، وجان كاسو، وهـ. ريد، و م. سكييس). ثم جاء دور العلم (ف. جوليو-كوري، و ب. بيترسون، و ج. نيدهام، و أ. دي ألميدا، و م. كابيرسون، و الأب برويل، و أ. هـ. كومبتون)، ومن بعده التربية (هـ. ويلسون، و م. بورا، و و. ج. كار، و يوين رين تشاو – أما آن فرويد التي كانت تدير عيادة لتعليم الأطفال الذين عانوا من ويلات الحرب فلم تتمكن من الحضور). ولخص جوليان هكسلي الهدف العام لليونسكو في بلاغ معنون "شروط التقدم". ونظم معرض عن الفن والفن المعماري في متحف الفن الحديث، وعرضت مسرحيات في مسرح الشانزليزيه، كما اقيمت حفلات موسيقية في كونسيرفتوار باريس وجرى عرض أفلام في متحف البيداغوجيا وأماكن أخرى⁶.

حول مسؤولية الكتاب، واليونسكو بوصفها حلقة وصل

في يوم الجمعة 1 تشرين الثاني/نوفمبر، اعتلى جان بول سارتر منصة الخطابة في السوربون لإلقاء كلمته. لقد أصبح سارتر في عيون معاصريه الفيلسوف الذي سمح لجيل كامل بأن يتأمل واقعه فيما بعد الحرب، إذ نشر على التوالي

⁶ أنظر M. Montagnier, Le Mois de l'UNESCO، قسم المحفوظات، اليونسكو. وقد نشر قسم الفلسفة في اليونسكو أوراق بعض المؤتمرات تحت عنوان "الأبعاد الفلسفية لنشأة اليونسكو" بمناسبة الذكرى الخمسين لميلاد اليونسكو.

"الوجودية مذهب إنساني" (آذار/مارس 1946)، و"المادية والثورة" (حزيران/يونيو 1946)، و "نيويورك، مدينة كولينيالية" و "التعريف بالولايات المتحدة" (تموز/يوليو، آب-أيلول/أغسطس-سبتمبر)، و "تأملات في المسألة اليهودية" (تشرين الثاني/نوفمبر)؛ وكان ينافح في كل الجبهات من أجل حرية المضطهدين – والمستعمرين والبروليتاريا واليهود – ولاسيما من خلال دوريته "الأزمة الحديثة". وعن خطابه في السوربون، ذكرت لنا سيموان دي بوفوار لمحات في كتابها "قوة الأشياء"، قالت: أمضى سارتر الأمسية التي سبقت هذه المناسبة بصحبة أرثر كوستلير - المؤلف الشهير لكتاب "الصفرة واللانهاية" – وألبير كامو وزوجتيهما، وقضوا السهرة في نقاش حول الكتابة والحقيقة، والسياسة وستالين وهم يتناولون المقبلات الروسية (زاكوسكي) ويحتسون أقداح الفودكا والشمبانيا على صوت موسيقى شهرزاد تعزفها فرقة من العجر، ثم أكملوا السهرة حتى الصباح في حانة في منطقة الهال، واضطر سارتر إلى تناول عقار منبه (orthèdrine) كي يستطيع إعداد محاضراته. على أية حال، كانت الحصيلة نصا هاما عن مسؤولية الكاتب استهله بالقول: "سيداتي، سادتي، قال ديستوفسكي: إن كل إنسان مسؤول عن كل شيء أمام الجميع. هذه العبارة أثبتت صحتها مع مرور الأيام. فكلما تداخل المجتمع الوطني أكثر فأكثر مع المجتمع الإنساني، وكلما ازداد اندماج الفرد بالمجتمع الوطني، كلما ازدادت مسؤولية كل واحد منا، وتعاضمت مسؤولية كل واحد منا. لقد اعتبرنا أن كل ألماني لم يعترض على النظام النازي مسؤولا عن أفعال هذا النظام، وإذا كان يوجد في بلدنا، أو في أي بلد آخر، أي شكل من أشكال الاضطهاد العنصري أو الاقتصادي، فإننا نعتبر أن كل من لا يرفع صوته ضد هذا الاضطهاد يتحمل تبعاته. بل إننا نتحمل كذلك مسؤولية أي شكل من أشكال الظلم الذي يقع في أي بقعة من بقاع الأرض بعد أن تعددت وسائل الاتصال وتبادل المعلومات بين الشعوب. كما أن عبارة "عالم واحد" العزيزة على قلوب الأمريكيين تعني أشياء كثيرة منها أن كل فرد مسؤول عن كل ما يجري في العالم"⁷. وكل فرد مسؤول بصفته كإنسان وليس لأنه يمارس هذه

⁷ أنظر: Jean-Paul Sartre: La responsabilité de l'écrivain, réédition Paris, Verdier, 1998, page 7.

المهنة أو تلك، إن كانت هذه مهنة اسكافي أو طبيب. بيد أن الكاتب يكتب لأنه يقوم بمهمة مواصلة التأكيد على الحرية والدعوة إليها في عالم ما تزال الحرية فيه مهددة بالخطر. فالكاتب مسؤول عن الحرية الإنسانية، والحرية التي يدعو إليها عندما يكتب هي حرية حقيقية لا تريد إلا نفسها؛ وإن تحقق اليوم حرية جديدة فهذا يعني أنه تم التفكير بها والعمل من أجلها. ولكي يتواصل كاتب أوروبي ويتفاعل خارج حدود بلده وقراءه، ولاسيما مع كتاب أجانب يكونون حلقة وصل بينه وبين شعوب بلدان لها أهمية خاصة في التاريخ، وينقل لهم بدوره احتجاجاته وتعريفاته، هذا الكاتب الذي ليس لبلده في الوقت الحاضر دور في الحلبة العالمية بحاجة إلى منظمة كالْيونسكو.

صورة

المؤتمر العام لليونسكو

اجتماع تحضيرى، 1946

الحد الأدنى لاتفاق العقول

ماذا يعني التعاون الثقافي الدولي؟ إن إنشاء اليونسكو حمل جواباً على هذا السؤال وإن كان جواباً لا يخلو من غموض. وهو جواب يشكل بلا شك قطيعة مع مفهوم عصبية الأمم. المفهوم الذي قامت عليه اليونسكو ليس مفهوم "جمعية الفكر أو المفكرين" لبول فاليري – أي مفهوم الرابطة الحرة بين المفكرين الذي سار على هداه فيما بعد المعهد الدولي للتعاون الفكري⁸ - وإنما هو نوع من الرابطة بين الدول التي تعاهدت بعد انتهاء الحرب على الالتزام بسياسة تعليمية وثقافية وعلمية تستهدف صراحة تحقيق السلام والأمن. ولكن ميثاقها التأسيسي كما رأينا تجنب بلباقة حسم الاختيار بين نهجين، أي نهج الاكتفاء بالتعليم والتثقيف كوسيلة للوصول إلى الغايات المنشودة و النهج القائم على بلورة مجموعة من المعايير والقيم الأخلاقية والإيجابية لتوجيه أنشطة الإنسان وفكره. وهنا يصبح السؤال: هل المنظمة بحاجة إلى فلسفة خاصة بها وما هي؟

اليونسكو: مذهب إنساني ارتقائي؟

كان المدير العام الأول لليونسكو، جوليان هكسلي، وهو عالم أحياء تاهيلاً ومهنة، على قناعة تامة بضرورة أن يكون لليونسكو فلسفة خاصة بها، أي "منطلق فكري يعبر عن الأهداف والغايات التي تملئها المتطلبات الإنسانية والذي يمكن أن يحدد أو يقترح على الأقل الموقف الواجب اتخاذه إزاء مختلف القضايا". وبطبيعة الحال لا بد أن يكون لهذا المنطلق الفكري سمته الخاصة، فهو لا يمكن أن يستهدي برؤية للعالم تقوم على دين معين أو عقيدة سياسية اقتصادية محددة توجهه وجهة ضيقة أو أحادية الجانب تتنافى وجوهر المنظمة والنهج التوافقي لدولها الأعضاء. كما لا يمكن للمنظمة أن تعتنق منظوراً فلسفياً محدود الأفق (كالوجودية، ونظرية الزخم الحيوي، والعقلانية، والروحانية، والحنمية الاقتصادية، أو النظرية الدورية للتاريخ)، ولا أي نهج يضفي شرعية على نزعة التسلط والصراع الطبقي

⁸ انظر:

Jean- Jacques Renoliet : L'UNESCO oubliée. La société des Nations et la coopération intellectuelle (1919-1946) .Paris, Publications de la Sorbonne, 1999, et Denis Mylonas : La genèse d l'UNESCO : la Conférence des Ministres Alliés de l'Education (1942-1945), Bruxelles, Bruylant, 1976.

والعنصرية وذلك لأن اليونسكو اعتبرت المساواة الديمقراطية والكرامة الإنسانية من صميم مبادئها. وأخيراً، لا يمكن لليونسكو بأي شكل من الأشكال أن ترى العالم من منظور مثنوي ما دام هدفها هو القيام بأنشطة ملموسة على الصعيد العالمي.

جواب جوليان هكسلي على السؤال المطروح أننا يكمن كله في التعريف التالي: الفلسفة العامة لليونسكو ينبغي أن تكون الإنسانية العلمية العالمية التي توحد مختلف جوانب الحياة الإنسانية مستلهمة النهج الارتقائي. فالإنسانية تجد تعبيرها بداية في أهداف اليونسكو المتمثلة في توطيد السلام والأمن ورفاه الإنسان من خلال العلاقة بين الشعوب في مجالات التربية والعلم والثقافة. وهي إنسانية عالمية قائمة على العلم، غير مادية ولكنها واحدة. وهي أيضاً إنسانية ليست بالجامدة ولا بالمثالية، أي إنسانية ارتقائية. ذلك أن "المنظور الارتقائي هو الذي يوفر لنا حلقة الوصل بين العلوم الطبيعية والإنسانية، ويعلمنا ضرورة التفكير بصورة ديناميكية، من حيث السرعة والاتجاه، وليس بصورة جامدة، من حيث الموقف الآني والنتيجة الكمية، وبفضل هذا المنظور استطعنا أن نفهم ليس فقط أصل النشوء وإنما عرفنا أيضاً الجذور البيولوجية للقيم الإنسانية، كما أنه سمح لنا أن نجد في خضم الظواهر الطبيعية المحايدة فيما يبدو بعض الأسس لهذه القيم وبعض المعايير الخارجية". من هنا نفهم أهمية وجود قسم للفلسفة في اليونسكو وطبيعة مهمته؛ أي العمل على تشجيع دراسة الفلسفة من أجل إيجاد نظام أخلاقي جديد ينسجم مع المعارف الحديثة ومع الوظيفة الجديدة للأخلاق، أي من حيث الجوهر إيجاد فلسفة عالمية ذات فكر موحد وموحد يتلاءم مع العالم الحديث.

هكسلي كان يرغب إذا بأن تأخذ اليونسكو بنظرية في التطور الإنساني يترتب عليها اتباع منظومة فلسفية تكون للمنظمة بمثابة مرشد. ومن المعلوم أن هذه الدعوة لقيت معارضة من كل مكان وعلى نحو اضطر معه هكسلي إلى نشر بيانه الفلسفي المعنون "اليونسكو، أهدافها وفلسفتها" وتقديمه إلى المؤتمر العام في باريس كإسهام شخصي منه وليس في إطار ولايته كمدير عام⁹.

الروح الفرنسية في المنظمة الجديدة

في الدورة الثانية للمؤتمر العام التي انعقدت في المكسيك عام 1947، تكلم في الجلسة الافتتاحية العامة جاك ماريان رئيس الوفد الفرنسي وتناول عودة على بدء موضوع فلسفة اليونسكو ليقدم تصورا جديدا في هذا الشأن. وماريتان فيلسوف كاثوليكي يعد من ابرز دعاة الفلسفة التوماسية الجديدة (نسبة إلى توماس الإكويني) وله مأخذ عديدة على مذهب الإنسانية الليبرالية ويدعو إلى الأخذ بمذهب الإنسانية المتكاملة. وقال في مؤتمر عن "شفق الحضارة" عقد قبيل الحرب العالمية الثانية: " إن خلاص الديمقراطيات الغربية في مواجهة النظم الشمولية غير الديمقراطية يكمن في إعادة اكتشاف المبدأ الحيوي المتمثل في العدالة والمحبة النابعتين من مصدر إلهي". والسؤال هو معرفة ما إذا كانت شعوب البلدان التي ما تزال حرة قادرة على التوصل من خلال الحرية والعقل إلى إجماع أخلاقي كاف ومقاومة التغيرات التي تهدد وعيهم من الداخل¹⁰. بعد نحو عشر سنوات من ذلك، قام هذا الرجل الداعي إلى العودة إلى القوالب الأصلية أو القديمة للدين بمحاربة ليس فقط الإنسانية الارتقائية لهكسلي وإنما أيضا - وهنا تكمن المفارقة - رفض أي التزام عقائدي للمنظمة. ومن الممكن تبيان التماسك المنطقي لهذا الموقف في إطار المنظومة الفلسفية لماريتان. وينبغي أيضا توضيح السبب الذي دعا فرنسا إلى تعيين هذا الفيلسوف التوماسي ممثلا لها لدى اليونسكو. ووجهة النظر المعتمدة هنا والتي يتداخل فيها الجانبان الفلسفي والسياسي تجد حججها إلى حد ما في قراءة ماريان للجانب الإشكالي من ميثاق المنظمة الجديدة.

استهل ماريان كلامه بالاستشهاد مرتين بخطاب ليون بلوم الذي ألقاه في المؤتمر التأسيسي لليونسكو في لندن في تشرين الأول/نوفمبر عام 1945. وبلوم هو فيلسوف فرنسي آخر والشخصية التاريخية للجبهة الشعبية التي ترأس مجلسها في عام 1936. وقد ذكر في خطابه أن فرنسا قد أعربت عن قناعتها منذ عام 1944 في سان فرانسيسكو بأن التفاهم والمعرفة المتبادلة هما الأساس الذي يقوم عليه سلام عادل ودائم بين الأمم، وأن اقتراح إنشاء مقر المنظمة الجديدة في باريس يجد تبريره في المنحى العالمي للثقافة الفرنسية المشهود لها به دوما ، فضلا عن تقاليد العريقة في العطاء والتسامح في مجال الفكر، وربطها بين كافة فروع

¹⁰ المؤتمر العام لليونسكو في المكسيك، 1947، قسم المحفوظات، اليونسكو.

الحضارة الإنسانية. وليس هناك مكان تتجلى فيه الروح الفرنسية أفضل من منظمة تجمع بين ثقافات وحضارات العالم اللاتيني والعالم الناطق باللغة الانجليزية و عالمي الشرق والشرق الأقصى وكل واحدة منها تجد في هذه المنظمة مكانتها وفرصتها للتعبير عن شخصيتها الفكرية المميزة وحيث يتكامل الفكر التجريبي مع المبادئ النيرة.

ثم تطرق ماريتان بعد ذلك إلى موضوع يمثل أيضا كما رأينا جانبا من عقيدته الفلسفية التي ينافح عنها ويدعو إليها: فهو يرى أنه ينبغي للشعوب اليوم أن لا تسلم بالحرب كقدر محتوم وألا تستسلم لليأس وعدم المبالاة، ودعا إلى إيقاظ الوعي من أجل أن يبني السلام بناء حقيقيا. ثم استشهد بعبارة قالها أرشيبالد ماكليش في الدورة الثانية للمجلس التنفيذي لليونسكو: إن اليونسكو لم تنشأ للسهر على التقدم النظري للتعليم وإنما من أجل توظيف هذا التقدم بصورة عملية وإيجابية لخدمة السلام بين الشعوب. فغاية اليونسكو من ثم ذات طبيعة عملية وليست نظرية.

من الفكر التأملي المشرذم إلى الفكر العملي المشترك

هذه الغاية تطرح مسبقا إشكالياتها. وهي أنه إذا كانت فكرة وجود منظمة عبر وطنية للشعوب فكرة ضرورية، وإذا كان من المستحيل عمليا في هذه اللحظة التاريخية أن تتخلى الدول عن سيادتها، فإن السبيل الوحيد لتحقيق هذه الفكرة يتمثل في قوة الوعي الإنساني وإرادة الشعوب. ومن أجل المضي قدما على هذا الطريق، ينبغي - ضمن سياق فترة ما بعد الحرب - التصدي لعدد من القضايا الخطيرة ومواجهتها مواجهة صريحة. فيجب أولا محاربة النزعة الميكافيلية والبراغماتية التي لا يحدوها وازع أخلاقي، ذلك أن القول بأن السياسة ينبغي أن تتعالى على الخير والشر هو خطأ قاتل. ويجب من ثم إحياء الأمل، بدون نسيان تبكيت الضمير، لدى شعب وقع في خطأ أخلاقي جماعي بسبب سياسة قادته مثلما هو حال ألمانيا النازية. وأخيرا، ونحن نعيش في عصر الذرة وبعد أن رأينا ما يمكن أن يسببه العلم والتكنولوجيا من دمار ومأس، ينبغي إنقاذ كرامة العلم من خلال تجديد ينابيع الحكمة ونظمها المعرفية، وإرجاع الحقائق الأخلاقية والميتافيزيقية والدينية إلى رحاب الثقافة من جديد، والعمل على توافق العلم مع الحكمة للسير معا يدا بيد. والسؤال هو: أي نوع من الاتفاق الفكري يمكن التوصل إليه بين البشر

بحيث يمكن مواجهة هذه القضايا وتحقيق الغاية العملية لليونسكو؟ هل هو اتفاق على صعيد الفكر التأملي؟ الجواب قطعاً بالنفي. وذلك أن انقسام الآراء والمذاهب بلغ أوجه في هذا العصر، ونتج عن تجزئة المعارف وتشتتها تلبيل الفكر المعاصر بحيث لم تعد هناك لغة مشتركة. ويرى ماريتان أن اليونسكو لا يمكن أن تحقق اتفاقاً على صعيد الفكر بين الأطراف المنضوية تحت مظلتها وهي على هذه الدرجة الكبيرة من التباين في وجهات النظر، ولا يمكن للمنظمة أيضاً أن تفرط بالأفكار والمبادئ المشتركة وتحصر دورها في مهام تجريبية، كما لا يمكنها افتعال توافق فكري مصطنع أو قاسم عقائدي مشترك ينتهي به الأمر إلى التلاشي.

المطلوب إذاً أن يتحقق اتفاق العقول بصورة تلقائية ولكن ليس على أساس فكر تأملي مشترك وإنما على أساس فكر عملي مشترك، وليس على أساس مفهوم واحد للعالم والإنسان والمعرفة وإنما على أساس التأكيد على مجموعة واحدة من القناعات التي توجه العمل. وهذا "بلا شك ليس بالكثير، ولكنه الحد الأدنى لاتفاق العقول" كما يقول ماريتان الذي يرى أن هذا الحد يكفي للقيام بعمل عظيم وأن الوعي بهذه المجموعة المشتركة من القناعات العملية أمر يشكل بحد ذات شيئاً كبيراً. وعلى ذلك ينبغي التفريق بين التخريجات المنطقية غير المتوائمة – ذات المنحى الفلسفي، وأحياناً الديني – والنتائج العملية، التي يمكن أن يسوّغها كل طرف على حدة، والتي تمثل بالنسبة لكافة الأطراف مبادئ عمل مشتركة هي الإيمان بحقوق الإنسان وبمثل الحرية والمساواة والأخوة. ويمكن إجمال رؤية ماريتان فيما يخص علاقة اليونسكو بالفلسفة على النحو التالي: لا يوجد لليونسكو فلسفة وإنما توجد أيديولوجية مشتركة تنحصر في الجانب العملي. وهي نفسها التي تتجلى في ديباجة الميثاق التأسيسي للمنظمة كما نجد صداها في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان الذي عملت الأمم المتحدة على صياغته في نفس الفترة. وقد ساهمت اليونسكو في هذا الإعلان بصورة مباشرة من خلال نشر كتاب عن الإشكالات الفلسفية التي تطرحها حقوق الإنسان¹¹، قدّم له جاك ماريتان وضم مساهمات من غاندي، و تيار دو شاردان، و ألدوس هكسلي، وسلفادور دو مادريغا وغيرهم من المفكرين من مختلف المذاهب الفلسفية.

¹¹ أنظر: Autour de la nouvelle Déclaration des Droits de l'Homme, Paris, Sagittaire, 1949.

مسألة حقوق الإنسان

عندما طلبت منظمة الأمم المتحدة عقيب الحرب العالمية الثانية من مجلسها الاقتصادي والاجتماعي أن يعد إعلاناً دولياً عن حقوق الإنسان، عمدت اليونسكو إلى استشارة مجموعة من الفلاسفة بشأن التفسير والتخريج المنطقي لهذه الحقوق التي يتعين على المجتمع تأمينها لكل فرد والتي من الواجب في عصرنا هذا حصرها بصورة تامة. وطرح الاستقصاء الذي أجرته اليونسكو بشأن الأسس الفلسفية لحقوق الإنسان الأمر على النحو التالي: إن العالم يمر بمرحلة عصبية في تطوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي. وإذا كان له أن يتقدم من ثم على طريق الوحدة، فلا بد أن يكون لنفسه مجموعة من الأفكار والمبادئ المشتركة، ومن ضمنها حقوق الإنسان. وينبغي لصيغة هذه الحقوق وتعبيراتها أن توائم بين الصيغ المتباينة أو المتضادة الموجودة حالياً، وأن تكون دقيقة بما يكفي لإلهام الفكر وتوجيه العمل، وأن تكون عامة بحيث تشمل جميع البشر، وقابلة أيضاً للتكيف لكي توائم الشعوب التي يختلف مستوى تطورها السياسي والاجتماعي. وصيغت النتائج التي تمخض عنها الاستقصاء في إطار نص مؤرخ في تموز/يوليو 1947 يحمل عنوان: من أجل إعلان جديد لحقوق الإنسان (بالفرنسي)، تأليف لجنة من الخبراء برئاسة هـ. كار وعضوية ريتشارد أ. ماك كيون، وببير أوجيه، وجورج فريدمان، وهارولد ج. لاسكي، وتشون - شو، ولوك سومر هاوزين. أما الإسهامات الأساسية للفلاسفة فقد جمعت في كتاب نشر عام 1949 وكتب توطئته جاك ماريتان.

استحالة الاتفاق النظري وضرورة المواجهة بين الأفكار

عند النظر في التأويلات والمبررات النظرية المتباينة أشد التباين بل والمتعارضة تماماً بشأن حقوق الإنسان، وجد ماريتان أن الأمر ينطوي على مفارقة تتمثل في أن هذه الآراء لا غنى عنها من جانب إلا أنها من جانب آخر عاجزة عن تحقيق اتفاق بين عقول البشر¹². وهكذا أكدت الفلسفة على سبيل المثال ما ذكر في الدورة

¹² أنظر: Jacques Maritain: "Sur la philosophie des droits de l'homme", dans *Célébration du centenaire de la naissance de* : Jacques Maritain (1882-1865), UNESCO, 1982

الثانية للمؤتمر العام لليونسكو بشأن الإعلان العالمي لحقوق الإنسان وهو أنه من الممكن التوصل إلى اتفاق عملي بخصوص هذا الإعلان ولكن من المستحيل الخروج باتفاق نظري بين العقول. فأقصى ما يمكن أن يطمح إليه هو اعتماد نهج يغلب عليه الطابع البراغماتي بدلا من النظري والقيام بجهد جماعي للتجاوز وإعادة النظر والصيغة بحيث يمكن التوصل إلى اتفاق بشأن وضع عدد من مبادئ العمل وقواعد السلوك تفضي إلى إعلان مشترك. ذلك أن التوصل إلى مصالحة على صعيد النظرية وإلى توليفة فلسفية محضة أمر سوف لن يشكل في نهاية المطاف سوى عقيدة جديدة من بين عقائد أخرى ولن تحقق هذه العقيدة من الإجماع أكثر مما فعل ويفعل غيرها من العقائد.

ولكن لماذا المرور عبر تصارع النظم النظرية بدلا من انتهاج سبيل الفلسفة؟ يجيب ماريتان على هذا بالقول أن عرض التفسيرات والتبريرات العقلانية أمر لا بد منه لأن كل واحد منا يؤمن بالحقيقة غريزيا و لا يعطي موافقته على أمر إلا بعد أن يتبدى له كحقيقة قوامها العقل والمنطق.

والعبرة من الكتاب، برأي ماريتان، هي وجود معطيات أخلاقية سابقة على منظومات الفلسفة الأخلاقية ومتحكمة بها، وتكشف عن تضاريس للوعي غاية في التعقيد حيث النشاط الطبيعي للعقل التلقائي، في حالته الخام ما قبل العلم والفلسفة، يخضع في كل لحظة لتأثير ظروف المجتمع ومتغيراته المتمثلة في مكتسباته وقيوده وبنيته وتطوره. ويعني هذا أن العقل التلقائي يتطور ويتفاعل داخل حاضنة معرفية أخلاقية وأن الوعي يتبلور في سياقات تجربة أخلاقية حقيقية لها منطقتها الخاص المميز عن منطق النظم الفلسفية التي قد تتفاعل معها تفاعلا إيجابيا أو تتعارض معها.

بالإضافة إلى ذلك، فإن معرفة التيارات الكبرى للفكر المعاصر تسمح لنا، من خلال المقابلة بين أفكارنا وأفكار الآخرين، بأن نحسن ونوسع نطاق رؤيتنا لطبيعة وجوهر حقوق الإنسان وأن نعزز قدرتنا على حصرها وتحديدتها ضمن إطار اللحظة التاريخية المقصودة وأن نتلمس على نحو أفضل الثغرات في الإعلان العالمي الذي يجري إعداده في مجالس الأمم المتحدة.

القانون الطبيعي والتطور التاريخي للمجتمع: منظوران لا يمكن التوفيق بينهما كأساس لحقوق الإنسان

تنقسم المنظومات الفلسفية في الوقت الراهن إلى فئتين متضادتين. الفئة الأولى تسلّم صراحة وضمنا بوجود قانون طبيعي يمثل المصدر الذي يمد الإنسان بحقوق أساسية غير قابلة للتصرف، سابقة على المجتمع وأعلى منه. أما الفئة الثانية فتري أن التطور التاريخي للمجتمع هو وحده الذي يسمح للإنسان باكتساب الحقوق، وهذه ليست ذات طبيعة جامدة أو أزلية وإنما جدلية ونتاج التقدم الذي يحققه المجتمع والفرد. والخلاف بين هذين الموقفين غير قابل للتسوية من الوجهة النظرية.

ولكن إذا رأينا الأمر من منظور عملي، وجدنا أن دوغماتية المذاهب الفكرية لا يمكنها أن تصمد أمام الدروس المستخلصة من التجارب والتاريخ كما لا يسعها إلا التراجع أمام وعي عملي يوظف التيارات الفكرية للتأكيد على حقوق الإنسان وحصرها بدلا من البحث في جوهر هذه الحقوق ودلالاتها الفلسفية. وهكذا يصبح الاتفاق على الحقوق وأحقيتها أمرا ممكنا وينتقل الثقل من ثم إلى مسألة المطالبة بممارسة هذه الحقوق: والأمر الذي يعنينا هنا ما عاد مجرد تعداد بسيط لحقوق الإنسان وإنما مبدأ التوحيد الديناميكي الذي يتم بموجبه تطبيق الحقوق على إيقاع مدروس ومفتاح محدد تعزف بفضلته وعلى لوحة المفاتيح ذاتها أصناف مختلفة من الموسيقى منها ما يعلو بكرامة الإنسان ومنها ما يهبط بها. والمسألة المطروحة في هذا المقام هي مجموعة القيم التي تضبط ممارسة هذه الحقوق المختلفة وتنظيمها تنظيما فعليا، وهو أمر لا تزال الشعوب لم تتفق عليه بعد.

الشروط الروحية لتنظيم العالم سياسيا في إطار التقدم والسلام

في نيسان/أبريل 1966، عاد جاك ماريتان من جديد إلى موضوع المثل الأعلى الضابط لتنظيم العالم سياسيا استنادا إلى الاختيار الحر للأمم والشعوب والتعاون الحر فيما بينها¹³. وبما أن هذا الأمر يبدو طوباويا في الوضع العالمي الراهن ،

¹³ أنظر: Jaques Maritain: Les conditions spirituelles du progrès et de la paix, Rencontre des cultures de l'UNESCO sous le signe du conseil oecuménique de Vatican II, avril 1966.

تتلخص المهمة اليوم في القيام بخطوات تحضيرية طويلة الأمد قوامها المثابرة الطويلة النفس على إعمال العقل وإحقاق العزيمة الخالصة بما من شأنه تحويل العالم المثالي أو الطوباوي المنشود إلى مثل أعلى ممكن التحقيق. والمراد من هذا الجهد حمل الإنسان على التخلي عن فكرة أو صنمية سيادة الدولة، هذا الإله الفاني (بمصطلح هوبس) الذي نظّر وأسّس له وحامى عنه جان بودان في القرن السادس عشر؛ وإيقاظ فكرة في نفوس من يعقل من البشر جميعا، حكاما ومحكومين، ظلت حاضرة وحية في القلوب وهاجسا حقيقيا إلا وهي فكرة الملكية المشتركة للإنسانية. ويمكن أن نعتبر بحق أن هذه التأمّلات بشأن الشروط الروحية للتقدم والسلام هي تأمّلات فيلسوف مسيحي من أتباع التوماسية الجديدة. وهي تشكل أيضا أحد المصادر التاريخية لقراءة وفهم الجانب الفلسفي لليونسكو.

ديوجين، البوصلة الذهنية والتدامج التكاملي بين العلوم الإنسانية

في عام 1948 التحق باليونسكو الكاتب وخريج دار المعلمين العالية والمجاز بقواعد اللغة الفرنسية روجيه كايوا وعمره آنذاك 34 سنة. عاش كايوا حياة حافلة بالأنشطة والأحداث قبل أن يعين في المنظمة. فقد سار في درب السريالية ردحا من الزمن، ثم أسس مع باتاي وليريس مدرسة أو ندوة علم الاجتماع، ورحل إلى الأرجنتين حيث اضطر إلى الإقامة فيها عدة سنوات بعد أن فاجأته الحرب العالمية الثانية وهو هناك وحيث أغواه أدب أمريكا اللاتينية فوقع أسير سحره.

من الأرجنتين إلى اليونسكو

تعاون كايوا في بوينوس آيرس مع مجلة SUR التي تديرها صديقه فيكتوريا أوكامبو، وأسس مجلة الآداب الفرنسية (Lettres françaises) (وكان جميع مراسليها من أنصار فرنسا الحرة مثل جاك ماريتان وجورج برنانوس وألدوس هكسلي وريموند آرون وجول سوبرفيل¹⁴). وحال عودته إلى فرنسا انصب اهتمامه على التعريف بالأدب الأيبيري الأمريكي عن طريق دار النشر غاليمار، وتكلفت جهوده بميلاد مجموعة الأعمال الأدبية الرائعة الشهيرة باسم La Croix du Sud. وفي تموز/يوليو 1948 جرى توظيف كايوا في اليونسكو، ويعود الفضل في ذلك إلى جان توماس مدير دائرة الشؤون الثقافية في اليونسكو¹⁵، وهو أحد خريجي دار المعلمين العالية ومن رجال المقاومة الفرنسية، وكذلك إلى العلاقة التي كانت تربط بين فيكتوريا أوكامبو والوزير جورج بيدو. وجرى تعيينه في "مكتب الأفكار" (Bureau des idées) التابع لقسم مشروعات اليونسكو الكائن في فندق ماجستيك حيث التقى هناك مجدداً بالشاعر السريالي فيليب سوبو. وكانت أولى مهامه المشاركة في تحرير إعلان جديد لحقوق الإنسان. ولم تقف وظيفته الجديدة في اليونسكو حائلاً دون مواصلة الكتابة (فقد نشر في هذه الأثناء كتابه المعنون "بابل" وترجم كتاب "الأصوات" لأنطونيو بوركيا) والانخراط في الحلقات الفلسفية والأدبية، والمشاركة في أنشطة العقد الدولي التي جرت في قصر

¹⁴ أنظر: Olga Felgine : Roger Caillois, Paris, Stock, 1994 ; Ricardo Paseyro : Jules Supervielle, le forçat volontaire, Paris, éditions du Rocher, 2e Edition, 2002.

¹⁵ محفوظات اليونسكو، ملف جان توماس وروجيه كايوا

سيريسي لاسال التاريخي في موضوع الثورة حيث قال من هناك " أليس مجمل التقدم الذي حققه الإنسان على المستوى الأخلاقي والقانوني وحتى المادي يعود في الأصل إلى عاطفة ثورية، أي إلى الرغبة في النضال ضد اللامقبول؟" وسافر إلى سوريا ولبنان ومصر وشارك في المؤتمر العام لليونسكو الذي انعقد في بيروت. وانتقل في عام 1949 إلى وحدة الصحافة والنشر في اليونسكو وحقق كذلك الأعمال الكاملة لمونتيسيكو ضمن سلسلة "مكتبة بلياد" الصادرة عن دار النشر غاليمار، بالإضافة إلى كتابات أخرى منها مقالة عن حقوق الإنسان نشرت في مجلة SUR.

إذا تساءل المرء عن طبيعة الموظف الدولي وقت إنشاء اليونسكو، فإن كايوا يمكن أن يكون أحد الأجوبة المحتملة على هذا التساؤل. فهو يمثل آنذاك تجسيدا لشخصية صاحب الفكر والمفاهيم الذي تعلو عنده عقلانية المعنى على العقلانية التقنية للمؤسسة ولا تتنازل الأولى للثانية مطلقا.

المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية

في عام 1949، بادر خبراء من كافة الجنسيات ومن اختصاصات علمية مختلفة إلى إنشاء المجلس الأعلى للفلسفة والعلوم الإنسانية. وبعد مضي بضعة أشهر على تشكيل هذه المنظمة الدولية غير الحكومية التي تعتبر الوريثة لنهج المعهد الدولي للتعاون الفكري، اجتمع ثاني مدير عام لليونسكو، خايمي توريس بوديه، مع لجنتها في باريس وخاطبها بهذه الكلمات: "إن اليونسكو، انسجاما مع ذاتها، سوف لن تطلب من علماء بمكانتكم تقديم حلول جاهزة أو "تقنيات إنسانية" إذا صح التعبير. ولن تطلب منكم كذلك أي أمر من شأنه المساس بقيمكم كباحثين وعلماء. كل ما تريده اليونسكو في إطار التعاون معكم هو أن تساهم بأعلى درجة ممكنة ومن خلال أنشطة مشتركة في إشاعة روح التفاهم في وعي الإنسان العادي مما يسهم بدوره، وفقا لجوهر اختصاصاتكم، في انبثاق تفاهم أخوي بين البشر¹⁶". وعلى صعيد الفلسفة، كان لهذه المنظمة غير الحكومية أن تتناول بكل حرية المسائل التي قد تشكل مصدر خلافات أيديولوجية وسياسية، كما اضطلعت

¹⁶ محفوزات اليونسكو: كلمة توريس بوديه في اجتماع المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، باريس، 3 آذار/مايو 1949.

بالأنشطة التي يغلب عليها الطابع الأكاديمي في برنامج اليونسكو للفلسفة مثل المؤتمرات والتوثيق البيبلوغرافي وخلصات الأنشطة والإسهامات الفلسفية والمعهد الدولي للفلسفة. ولكن بالرغم من أن المجلس حقق وبسرعة إنجازا كبيرا في مجال النشر كماً ونوعاً وترجمت إصدارته إلى لغات عديدة، إلا أنه فشل في تحقيق ما كان يصبو إليه منذ البداية، أي إصدار مجلة. فقد وجد المجلس أن من الصعب جدا إصدار مجلة "ترضي الجميع"، وذلك بعد أن حاول في بادئ الأمر المشاركة في إصدار المجلة البلجيكية المتخصصة إيراسموس (Erasmus).

وعلى ذلك، اقترح كايوا على الجمعية العامة للمجلس في شباط/فبراير 1952، وبدعم من جان توماس، أربعة مبادئ توجيهية للمجلة الموعودة هي: أن تروج للعلوم التكاملية، وأن ترضي المختص والقارئ العادي، وأن ترصد تطور النظم العلمية وما يكتب فيها، وأن تستعرض الكتب الصادرة حديثا¹⁷. واقترح البروفيسور ماك كيون من جامعة شيكاغو اسم ديوجين عنوانا للمجلة وذلك ليس احتفاء بذكرى الفيلسوف ديوجين وتقديرا لنهجه وفكره بقدر ما هو تيمنا بمصباحه الشهير ودلالاته، فضلا عن أن هذا العنوان اسم علم يعرف نفسه بنفسه ولا يحتاج إلى ترجمة¹⁸. وأصبح روجيه كايوا رئيسا لتحرير هذه المجلة حتى وفاته عام 1978، يساعده في ذلك جان دورميسون. ومن ذلك الوقت فصاعدا توزع عمل كايوا في اليونسكو بين مجلة ديوجين وتحرير سلسلة "الروائع العالمية" الصادرة عن المنظمة.

المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية ونهج التدامج والتكامل بين العلوم

كان روجيه كايوا، الذي سمّاه أندريه بریتون بحق "البوصلة الذهنية" (شارل فوريه، الذي كان بریتون يقرأ له، هو الذي اخترع مصطلح البوصلة الاجتماعية للجذب العاطفي)، يعتقد بوجود صرح معماري عتيد يتلاطم فوقه اللغط العام – ويدعو النظم المعرفية إلى اكتشافه بالخروج من قواقع اختصاصاتها والانفتاح بعضها على بعض ومد الجسور فيما بينها¹⁹. إن أحد المداخل المحتملة لفهم نهج

¹⁷ من مقابلة أجرتها أولغا فيكجين مع جان دورميسون في 9 حزيران/يونيو 1992، مصدر سابق (أنظر هامش 14) ص. 314، هامش 1

¹⁸ أنظر: Alexandre Pajon : « A la recherche d'une revue : Caillois et Diogène », Diogène, n°160, octobre-novembre 1992.

¹⁹ أنظر: Vital Rambaud : Article « Caillois » de l'Encyclopédia Universalis

مجلة ديوجين يأتي انطلاقاً من هذا التقييم لعمل روجيه كايوا. ففي العدد الرابع من ديوجين كتب كايوا رسالة موجهة إلى "حضرة البروفيسور" رد فيها على الاعتراضات التي وجهت إليه بشأن نهج المجلة؛ قال: إن ديوجين مجلة تخاطب طبقات مختلفة من القراء، وهي مشتركة بين التخصصات أو بالأحرى عابرة للتخصصات. وهي ليست معنية من ثم بتقديم دراسات جزئية شديدة التركيز وعالية التخصص. وعليها أيضاً أن تتجنب الوقوع في التبسيط، وأن لا تخفي أو تموّه صعوبات المعرفة وإشكالاتها. وتسعى المجلة لأن تكون منبرا للاستنارة ومجالاً مفتوحاً على العديد من النظم المعرفية ومختلف الثقافات الأخوية التي يمكن للإنسان أن يفخر بصنعها²⁰، أي أن تكون عالمية التوجه، شاملة وجامعة.

وقد أكد كايوا مرارا وتكرارا على موضوع الانفتاح على الثقافات الأخرى؛ ومن ذلك قوله: " في عالم يتقلص وتتقارب فيه السبل كل يوم، لا يمكن للإنسان المثقف أن يكتفي بمعرفة تاريخ وتراث حضارته فقط (...). يتعين على كل واحد منا اليوم أن يلم بعض الشيء بالثقافات النقيضة". وفي هذا المفهوم يكمن المبدأ المنظم أو الفكرة الضابطة لنزعة إنسانية متجددة على نطاق العالم، نزعة تتماهى مع المثل العليا التي ينطوي عليها الميثاق التأسيسي لليونسكو والتي يتشاطرها العلماء المنضون تحت مظلة المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية. وديوجين كانت ساحة هذه الأفكار، ولو عدنا وقرأنا من جديد المجموعة الغنية لأعداد هذه المجلة منذ خمسين عاماً²¹ لوجدنا أنفسنا نتساءل مرة أخرى عن مدى ما تدينه ديوجين لنهج روجيه كايوا الذي وصفه اكتافيو باز بنهج يفضي بصاحبه وهو يخوض غمار المعرفة من اكتشاف إلى آخر ومن استنتاج إلى آخر إلى بناء صروح شفافة من المفاهيم والصور. يا لها من بهجة ونشوة للعقل²²، وما تدينه لتساؤله عن موقع الإنسان في هذا العالم، عالم تتنادى فيه الأشياء ويمور بالأصداء وحيث الصمت جزء من التناغم الكوني.

²⁰ أنظر: Roger Caillois : « Lettre du rédacteur en chef sur le rôle de Diogène et les conditions d'un humanisme rénové », Diogène, n° 4, 1953

²¹ أنظر المجموعة المختارة من مقالات هذه المجلة التي صدرت بمناسبة الذكرى الخمسين لتأسيس المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية، مع توطئة بقلم ج. بنغين، تشرين الثاني/نوفمبر 1998. وقد انتقلت رئاسة تحرير ديوجين إلى جان دورميسون بعد وفاة روجيه كايوا، وهي اليوم في عهدة باولا كوستا.

²² Octavio Paz : *Les pierres lisibles*, *Le Monde* du 14 mai 1951. Voir aussi Jean d'Ormesson : « Eloge du pommier », dans *Diogène*, n° 60, octobre- décembre 1992, et *Cahiers de Chronos*, éditions La Différence, 1991.

اللغة الخاصة باليونسكو

يعود الفضل إلى المدير العام لليونسكو رينيه ماهو (1962) في إنشاء قسم الفلسفة في اليونسكو وتعيين جان هيرش، أستاذة الفلسفة في جامعة جنيف، مديرة له في أول نيسان/أبريل 1966، وكانت عضوة في وفد بلادها إلى الدورتين الثانية عشرة (1962) والثالثة عشرة (1964) للمؤتمر العام²³.

وكان رينيه ماهو ينتهز مناسبات الاحتفالات التذكارية للتأكيد على أهمية الفلسفة، تشهد بذلك كلمته التي ألقاها في الندوة الرائعة التي نظمتها اليونسكو من 21 إلى 23 نيسان/أبريل 1964 بعنوان "كيركيغارد الفيلسوف الحي". وقد شارك في هذه الندوة كل من جان بول سارتر، وغابرييل مارسيل، ولوسيان غولدمان، ومارتن هايدغر، وإنزو باتشي، وكارل جاسبرس، وجان وال، ونيلس ثورلوب. قال ماهو: "إن أعمال كيركيغارد تدعو الجميع إلى رفض كل أشكال التساهل والعبارات الجوفاء والطروحات التجريدية التي تزعم أنها قادرة على الشرح والتفسير مستغنية عن ومتعالية على التجارب العملية وسياقاتها الخاصة. ولهذا السبب فإن اليونسكو، التي تنأى عن رعاية أي إيديولوجية مهما كانت وتسعى لأن تكون فقط ساحة لتصارع وتدافع الأفكار، كان لا بد لها من أن تشارك في تكريم هذا الرجل الذي تطالعنا آثاره في كل منعطف وملتقى يطلب فيه الفكر الحديث²⁴."

ووضع السيد ماهو لهذا القسم هدفاً طموحاً حين أراد له أن يكون المحرك الدافع لأنشطة اليونسكو الكثيرة والمتنوعة وأن يربطها بالغايات النهائية التي تصبو إليها رسالة اليونسكو وفقاً لميثاقها التأسيسي، أي السلام وحقوق الإنسان. وكانت تلك الخطوة الجسورة نقطة تحول ابتعدت باليونسكو عن نهجها الحذر السابق عندما عهدت بالفلسفة إلى منظمة مستقلة ذات صفة غير حكومية هي المجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية خشية أن يتحول النقاش الواسع بين المفكرين والمربين

²³ المذكرة ODG/DG/25178، أرشيف اليونسكو

²⁴ Kirkegaard vivant, allocution de René, Paris, Gallimard, 1966, page 14 Maheu.

والعلماء بشأن القضايا العصرية الكبرى التي طوّل المؤتمر العام والمجلس التنفيذي بإيضاحها، إلى مجادلات خلافية وفوضى ومنابر للترويج²⁵.

الفلسفة في محك اللغة الخاصة باليونسكو

لخصت السيدة جان هيرش قصة تعيينها على النحو التالي: اتصال هاتفي من القصر الفدرالي يعلمها بفتح هذا المنصب للتعيين، منصب يغري بحياة مختلفة عن حياة التعليم في الجامعة مع حفظ خط الرجعة بطلب إجازة لسنتين للإبقاء على صلتها بالجامعة، إذ إنها لم تكن راغبة في الارتباط نهائياً باليونسكو وكانت ترفض تماماً أن تصبح عبدة لمرتب يدفع بالدولار أو سجينة امتيازات معينة²⁶. وقالت إنها عرضت على المدير العام - الذي وصفته بأنه رجل خارق الذكاء استطاع أن يملأ كل جزء من أجزاء تلك الآلة الضخمة (اليونسكو) فكراً ودلالة، وعرف كيف يديرها بما يتفق مع غاياتها - مقترحاً بإضافة مسألتين إلى البرنامج الذي كان أعده لقسم الفلسفة، تتعلق إحداها بضرورة الاهتمام بقضية العلوم والتقانة، والأخرى بملاءمة تنظيم ندوة عن الزمن في الثقافات المختلفة، وقالت له: "إني آسفة جداً لأنني كتبت هاتين الفقرتين بالفرنسية ولم أستطع أن أكتبهما بأسلوب اليونسكو". فنادى رينيه ماهو أحدهم وقال له: "ضع هذا بأسلوب يونسكوي". وتقول السيدة هيرش معلقة على هذا الحوار بعد مضي عشرين سنة عليه: "يوجد بالفعل أسلوب يونسكوي ولا بد لي من الإقرار بأنه كان من الصعب علي جداً أن أتحمّل إبهام المصطلحات المستخدمة في اليونسكو وبعدها عن الوضوح وطابعها المغلف والطفيلي. إلى أن فهمت في نهاية المطاف أنه لولا اليونسكوية لما وجدت اليونسكو. فلا شك أن استخدام لغة "مغلّفة" أمر لا مفر منه في عالم اليوم. ولولا ذلك الضباب الذي تنتشع به الأفكار في عالمنا المنقسم حتى الصميم في جميع غاياته، لا يمكن لليونسكو أن تدوم".

البحث عن المغزى في عالم فقد مغزاه

كانت سيرة جان هيرش المتميزة تؤهلها للقيام بهذه المهمة. فكانت أمها من مواليد وارسو وأبوها من مواليد ليتوانيا؛ وهاجر والداها إلى سويسرا في 1904-1905 لمواصلة الدراسة. وكان أحدهما يدرس الإحصاء والديموغرافيا في الجامعة

²⁵ Jean Thomas/UNESCO, Paris, Gallimard, 1962

²⁶ Jeanne Hersch: Eclairer l'obscur. *Entretien avec Gabriel et Alfred Dufour*, Lausanne, L'âge d'homme, 1986

وينشط في "البوند" وهو حزب اشتراكي يضم يهود بولندا وروسيا المتطالعين إلى العدالة الاجتماعية والحرية الديمقراطية والتضامن الدولي، وعمل الآخر لمدة ثمانية عشر عاماً في عصابة الأمم. وتابعت جان هيرش دروس كارل جاسبرس عن هيجل في هايدلبرغ وعن هايدغر في فريبورغ-أن-بريسغو عام 1933. وبعد تقديم رسالة الليسانس عن بيرغسون، ألفت عام 1936 كتاب *L'Illusion philosophique* الذي كتب جاسبرس مقدمة نسخته الألمانية. وتولت أمانة جمعية أصدقاء إسبانيا الجمهورية كما شاركت في أنشطة لمساعدة اللاجئين الهاربين من النازية. ونشرت في عام 1942 رواية *Temps alternés* وأصدرت في عام 1946 مصنفاً فلسفياً بعنوان *L'être et la forme*. وفي هذا العمل الأخير دافعت عن فكرة مؤداها أن الحرية شرط لازم لكي يتسنى الدفاع عن الحقيقة، ووصفت ظرف الإنسان في صراعه من أجل الوجود، وأهدته "إلى معلمي جاسبرس الذي فتح عيني على الفكر الوجودي الذي سمي كذلك لأنه يدعو الإنسان إلى التسامي في طلب المعرفة". ثم ترجمت عدداً من أعمال جاسبرس وتشيسلاف ميلوش. وبدأت حياتها في مجال التعليم كأستاذة للفرنسية واللاتينية والفلسفة في المدرسة الدولية بجنيف وكانت في الثالثة والعشرين من العمر، وشغلت في عام 1947 وظيفة *Privatdozent* ثم عينت في عام 1956 أستاذة للفلسفة في جامعة جنيف. ودرّست في الخارج وبالأخص في الولايات المتحدة. وثمة سؤال يظل مطروحاً - ويتعذر تناوله في هذا المقام- هو ما الذي حملها، انطلاقاً من هذه المسيرة الفلسفية والجامعية ومن تجربة الحرب العالمية الثانية، على العمل في اليونسكو.

ممارسة الحرية في منظمة مفعمة بالحياة ومثيرة للحماس

وثمة سؤال آخر يطرح هنا: كيف للمرء أن يظل فيلسوفاً في اليونسكو؟ لقد كلفت جان هيرش في البداية بتنظيم اجتماع للحائزين على جائزة نوبل في بيلاجيو (23-28 أيار/مايو 1966) واجتماع مائدة مستديرة عقد في إطار المؤتمر العام في موضوع السلام (31 تشرين الأول/أكتوبر - 4 تشرين الثاني/نوفمبر 1966)، واستخلصت من تجربتها هذه أنه ينبغي لليونسكو العدول عن إعلان مبادئ كبرى والانصراف بالأحرى، وفقاً لرأي جاك ماريتان، إلى المهام العملية الملموسة؛ وعندما يتعلق الأمر باجتماع بين الخبراء لمناقشة قضية تثور حولها خلافات جوهرية، ينبغي أن تسعى اليونسكو- كما قالت في عام 1986- إلى تفسير هذه

الخلافات وتوضيحها بدلاً من السعي بأي ثمن إلى الخروج بنص يحظى بالإجماع. وقامت بأنشطة للتأمل في كيفية نيل الإنسان حرية ممارسة العلم بلا قيود. وأبدت سعادتها بحيوية قسم الفلسفة وبما أثاره من حماس غامر في كل أرجاء اليونسكو، تلك المنظمة المفعمة بالحيوية والمثيرة للحماس لأن الإنسان يجد نفسه ويتفاعل في كل مجال من مجالات اختصاصها - العلم والثقافة والتربية والاتصال. ولم تنس كذلك أوقات اليسر والعسر، ولحظات التجلي واليأس. فقد حررت ذات يوم نصاً انتقدت فيه الأفكار المتداولة في المنظمة في مسألة مكافحة العنصرية، ذلك أن حقوق الإنسان في رأيها لا ترتعن أبداً بالمستوى الفكري للفرد أو الجماعة، وإنما تتأتى من مدى قدرة الإنسان على أن يكون إنساناً حراً ومسؤولاً. وإذ بنصها، وهي التي أنفت أن تقدم كتابها "الوهم الفلسفي" للحصول على درجة الدكتوراه لأنها كانت تكره أي تدخل في نص تكتبه، يعاد إليها وقد ملئت كل صفحاته تشطياً باللون الأحمر من قبل رئيسها المباشر، بينما وجه إليها المدير العام مذكرة استحسان وطلب من جميع الوحدات أن تعيد توجيه أنشطتها الخاصة بمكافحة العنصرية.

مجازفة الفكر في برنامج اليونسكو

إسهاماً في الذكرى العشرين للإعلان العالمي لحقوق الإنسان لعام 1948، عكفت جان هيرش على إعداد مصنف ضخم تبرهن فيه على أن حقوق الإنسان هدف تصبو إليه الثقافات كافة وحاجة تلح على جميع البشر. ودعت لهذه الغاية جميع اللجان الوطنية لليونسكو إلى موافاتها بنصوص تنم عن الحاجة أو التطلع إلى حقوق الإنسان وتكون سابقة لإعلان عام 1948، رغبة منها في تقديم الدليل على أن هذه الحقوق متجذرة في كل مكان في العالم. وصدر هذا الكتاب بعنوان "Le droit d'être un homme"²⁷ وترجم إلى سبع لغات. وهذا الكتاب، كما جاء في تصدير رينيه ماهو، ليس مصنفاً علمياً ولا هو رسالة في الأخلاق أو إجازات في الفضيلة، كما أنه لا ينطوي على أي عقيدة ولا يعبر عن حقيقة تاريخية، وتتجلى فيه الإنسانية عبر مثلها العليا. إنه يشهد ببساطة بأن حاجة الإنسان إلى التمتع بإنسانيته مطلب عام وشامل عبر الزمان والمكان.

²⁷ *Le droit d'être un homme*, recueil de textes sous la direction de Jeanne Hersch, Préface de René Maheu, Paris, UNESCO, 1968.

عندما تركت جان هيرش قسم الفلسفة في عام 1968 (عادت فيما بعد إلى اليونسكو في عام 1970 مندوبة لسويسرا في المجلس التنفيذي) كانت أركان الفلسفة قد توطدت في اليونسكو وصار بإمكان للسيد رينيه ماهو أن يطالب بوضع برنامج طموح وجريء لحفز البحث الفلسفي الذي يجمع بين الالتزام والحرية الكاملة، قال: " لا يسع اليونسكو بطبيعة الحال أن تدعي لنفسها حق الاحتكار في هذا المضمار وليس لها أيضاً المطالبة بأي دور فكري توجيهي. ولكنني أرى أنه يتعين على اليونسكو، في السنوات القليلة المقبلة، أن تؤدي دور المركز الموجّه للتفكير في الإشكالات الكبرى للوضع البشري الراهن وهي إشكالات نعلم جيداً أننا لن ندرك معناها ما لم تطرح على صعيد البشرية جمعاء ولن نجد لها حلاً إلا على هذا الصعيد. ولكي تؤدي هذه المهمة ينبغي لنا أن نسعى - أي أن نبحث ونتقصى- بأقل قدر من الشكلية وبأعلى درجة من المرونة (...). بل بأقصى قدر من الحرية: حرية الإقدام، وحرية الإدهاش، بل وحرية الزلل، وبدون ذلك لن يتسنى لنا اكتشاف آفاق جديدة. فالمجازفة جزء لا يتجزأ من كل حياة حقة"²⁸ .

ولئن حق للمدير العام لليونسكو أن يجسد "سياسة الروح"²⁹، فهو يظل صديق جان بول سارتر يشاركه ذلك القلق النابع عن فكر لا يهدأ قراره، غير راض أبداً ومتمرد قطعاً، وكان مثله أستاذاً في الفلسفة من جيل الخمسينات الموسوم بفكر الفلسفة الفينومينولوجية والوجودية السائر في تقاليد فلسفات الذات الفاعلة المسيغة على العالم معقوليته والتي بنت عالماً أخلاقياً بأفعال تأسيسية متوالية صنعت تاريخ الفكر. ومن هنا جاءت، وفقاً لجاك هارفي، نزعة رينيه ماهو الإنسانية ولاسيما رؤيته للحرية ولسلطانها.

²⁸ *Organisation des Nations Unies pour l'éducation, la science et la culture, Vingt-cinquième anniversaire de l'Organisation, Discours et messages*, Paris, UNESCO, 1972, page 93, cité par Jacques Havet: *Horizons philosophiques pour l'UNESCO au XXIe siècle*, Paris, UNESCO, 1997.

²⁹ *Jacques Havet : « René Maheu tel que je l'ai connu », dans René Maheu, portrait souvenir par ses collaborateurs, Association des anciens fonctionnaires de l'UNESCO, 2000, page 103.*

اليونسكو حسب أرسطو وعمانويل كانط وجاك دريدا

شهد العقد التالي تواصل النشاط في قسم الفلسفة في اليونسكو الذي تعاقب على رئاسته كل من ماري-بيير هارتوغ (ماري-بيير دي كوسي بريساك) ورينيه حبشي ومحمد علال سيناصر. ونأت الأجيال الجديدة بنفسها عن المذاهب الفلسفية المتمحورة على الذات لتجد ضالتها في المذاهب البنيوية وفلسفة اللغة والفلسفة التصورية، بل وحتى الفلسفة التفكيكية.

"تكن الحكمة في قلوب البشر. وفي قلوبهم يجب أن تفتح براعم السلام. هي ذي فكرة اليونسكو"

في كانون الثاني/يناير 1968، ألقى الفيلسوف ألبرتو فاغندر دي رينا، مندوب بيرو الدائم لدى اليونسكو، كلمة في المؤتمر الدولي الرابع عشر للفلسفة في فيينا، حاول فيها الخروج بتصوير عن ماهية اليونسكو وغايتها (أو بالأحرى عن تصور رينيه ماهو لليونسكو³⁰) على ضوء مفاهيم أرسطو الفلسفية³¹، مبيّناً أن أرسطو كان يلح دوماً إلى شيء شبيه بمفهوم اليونسكو. فالْيونسكو كفكرة ورسالة تنسجم تماماً مع فكر أرسطو عندما تسعى إلى توليد السلام الخارجي من السلام الداخلي ومن الأخلاق، وإلى بناء السلام عن طريق ممارسة الفضائل الأخلاقية والفكرية وهي عدتها كمحارب من أجل إقرار السلام بالوسائل السلمية. وقال أخيراً "إن عالمية اليونسكو التي تدرج في منظور عالمية الإنسان" لا تعني تنميط الذات الثقافية ومسختها، وإنما تروم الحفاظ على الثقافات المختلفة في أصالتها باعتبارها تراثاً مشتركاً للبشرية، وتحرص من ثم على نشرها وتقويتها. ولا تنادي عالمية

³⁰ René Maheu, *La civilisation de l'universel*, Paris-Genève 1966

³¹ Alberto Wagner de Reyna- *Idée et historicité fr l UNESCO*, Genève, Nagel 1968

اليونسكو بالمواطنة العالمية التي يرفضها أرسطو، ولا تفرض على المنضمين إليها نسيان أوطانهم، وإنما تسعى إلى الكلي والعالمي انطلاقاً من كل ثقافة وكل تاريخ وطني". وأكد رينيه ماهو أن هذه القراءة الأرسطوطاليسية تعبر تماماً عن مغزى عمله في اليونسكو وغايته، وأن بناء السلام مهنة الفيلسوف وأن نشاط اليونسكو فعل فلسفي بامتياز لأنه مستمد في جوهره من الوعي بكلية الإنسان مفهوماً وامتداداً.

الذكرى المئوية الثالثة والعشرون لوفاة أرسطو- ماضي الفلسفة وصمت جاك لاكان

وفي العقد التالي بات فكر أرسطو يتخذ في اليونسكو منحى مغايراً لاسيما عندما احتفلت في 1-3 حزيران/يونيو 1978 بذكرى مرور ثلاثة وعشرين قرناً على وفاته. فلم العودة إلى أرسطو اليوم؟ ألم يطل أمد احتلاله لساحة الفلسفة مضيقاً رقعتها؟ وهل المراد العثور في فكره على خيوط تثبت استمرارية الفكر الغربي عبر تحولاته المتتالية، أو الوقوف على سر الأصول والمنابع اليونانية للغز الفلسفي؟ ليس قصدنا إثبات صدق أو مقبولية قضايا فلسفية معينة، ولا إصدار أحكام على معارف تجاوزناها بمراحل مطمئنين إلى أنه لا يوجد ماضٍ يبرز حاضرننا، ولا قصدنا وضع حصيلة ما ولا رصد الوضع الفلسفي الراهن، وإنما أردنا، فيما وراء التذكير والاستنكار، وبعيداً عن التوقير أو التحقير، استحثاث تأمل جامع ومتعدد الأبعاد في سيرورة ثقافية لها علائقها السببية الخاصة بها ولا تفتأ تعود دوماً إلى أرسطو لتستنطقه دون الاقتصار على موضوعة فلسفية بحثة أو التماهي معها³².

³² M.A.Sinaceur : Préface à *Aristote aujourd'hui*, Paris, Erès 1988

فيمكن القول إذن إن : 1) التأمل الفلسفي لم يفرغ بعد من استيضاح النموذج الأرسطوطاليسي؛ 2) فهو المصدر الأول للمعنى الذي نعطيه للفلسفة والمحطة الواجبة لكل تأمل في خصوصية ذلك الفكر الفلسفي الذي فاض إشعاعه على جميع الثقافات الإنسانية مؤسساً لصرح الفكر العالمي؛ 3) وفيما وراء الفلسفة الغربية، يمكن أن يفيد المنهج الأرسطوطاليسي كنموذج مرجعي للتأمل في التقاليد الفكرية الأخرى : فأرسطو يقدم نموذجاً لدراسة إشكاليات التوفيق بين التقدم التقني والمثل الإنسانية العليا للثقافة ويطالبنا من ثم ببذل مجهود فكري في مواجهة أسباب القلق التي تعم عصرنا وتشغل بالتالي إنسان اليوم. وتمخضت الندوة عن كتاب بعنوان "*Aristote aujourd'hui*" صدر عام 1988 تلاه في عام 1991 مجلد ثان بعنوان "*Penser avec Aristote*" لم يتناول فكر أرسطو من زاوية استمرار صلاحيته وإنما نظر فيه من زاوية تعددية دلالاته ومعانيه التي تكشف عبر التاريخ وعبر الأجيال³³. وتميز هذا الاحتفال بأرسطو والمصنفات التي تمخض عنها بالمستوى الممتاز للمساهمات المقدمة ومستوى المشاركين ومنهم H. Ahrweiler و M. Arkoun و P. Aubenque و J. Barnes و J. Baufret و J. Berque و B. Besnier و M. Bunge و B. Cassin و F. Châtelet و J. Dausset و J.-T. Desanti و D. Dubarle و J. Hintikka و G. Kreisel و A. Hasnaoui و J. Lacan (الذي كان استخدامه للصمت عندما قرأ مساهمته في موضوع حلم أرسطو محيراً للغاية³⁴) و M. Mahdi و J. Merleau-Ponty و E. Moutsopoulos و R. Thom و J. Vuillemin.

وكان هذا الحدث مناسبة بالغة الأهمية ومؤشراً لتحول محتمل في وجهة سياسة الفلسفة في اليونسكو نحو الجمع بين المشتغلين بالفلسفة في العالم من أجل إعادة النظر في تقاليد الماضي على ضوء الزمن الحاضر.

³³ Paris, Erès, 1991، دراسات جمعت تحت إشراف محمد علال سيناور مع مقدمة لفيدريكو مايور، *Penser avec Aristote*

³⁴ Michel Conil-Lacoste, *Chronique d'un dessein, UNESCO 1946-1993*, Paris, édition UNESCO 1993 page 182

الفلسفة والمذاهب الفلسفية اليوم وعلاقتها بالعلوم الاجتماعية والإنسانية

سجل عام 1978 إذن بداية عقد أرسطو ولكنه شهد أيضاً إنجاز وإصدار مصنف فذ أعد بإشراف جاك هافي بعنوان: "الاتجاهات الرئيسية للبحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية" في إطار أداء اليونسكو لرسالتها الثلاثية الأبعاد في المجال العلمي كما ذكر بها مديرها العام وهي: تشجيع تقدم المعرفة عن طريق التعاون الدولي؛ والعمل على جعل النشاط العلمي مناسبة للتقريب بين ممارسيه وتحسين التفاهم بين الأمم؛ والحث على إسهام الفتوحات العلمية في تحسين وضع البشر وفي التقدم الإنساني على الصعيدين المادي والروحي³⁵. وقد كُرس الجزء الأخير من المجلد الثاني للتقرير الذي أعده بول ريكور عن دراسة أجرتها اليونسكو بشأن البحث الفلسفي في العالم. ويوضح هذا الجزء هدفين آخرين لبرنامج اليونسكو في مجال الفلسفة هما: رسم صورة عالمية للاتجاهات والتيارات التي تحرك الفكر الفلسفي الراهن في إطار علاقته بقضية المعرفة؛ واقتراح وسائل ونماذج فكر فلسفي جديد استناداً إلى هذا الفكر الفلسفي الراهن وسحبه في اتجاه بحث معمق عن التناغم والمعنى عند نقطة التقاء المعرفة والعمل والقيم³⁶. وقد رفض ريكور توزيع تيارات البحث الفلسفي على أساس جغرافي (أي وضع الفلسفة غير الغربية، أي فلسفة آسيا الشرقية وآسيا الغربية والشرق الأوسط وإفريقيا، في مواجهة الفلسفة الغربية، أي العالم الأنكلو سكسوني وأوروبا الشرقية وأوروبا الغربية والعالم الإيبيري الأمريكي). واقترح مع المشاركين في وضع التقرير (الهندي دايا كريشنا، والإنجليزي ألان مونتفيور والروسي تيودور إيليتش أوزيرمان) طوبوغرافيا مبتكرة للمجالات أو الأماكن الفلسفية ذات الصلة بالقضايا الحية المطروحة على بساط البحث والنشر والنقاش. فالفلسفة العصرية

³⁵ أحمد مختار أمبو، التقديم لكتاب "الاتجاهات الرئيسية للبحوث في العلوم الاجتماعية والإنسانية" إشراف جاك هافي، الجزء الثاني، 1978، باريس - لاهاي- نيويورك، Mouton/Unesco

³⁶ Jacques Havet، تمهيد، المصدر السابق، ص XLVIII

تعطي صورة متنافرة عن رسالتها: فتجدها تارة تريد استيعاب العلم في تصور أعمق وأرحب للواقع (الواقعية الجدلية) وتزعم تارة الاقتصار على نقد اللغة (الفلسفة التحليلية) أو تدير ظهرها لهذا الخيار لتتصرف إلى الذات (فلسفة الذات) أو للتأمل في نهاية الميتافيزيقا (ما بعد الفلسفة أو الفلسفة). لذا يجب صرف النظر عن أي جهد توليفي والعمل بالأحرى، مع مراعاة التناقض الجوهرى الغالب على الميدان الفلسفي، على تحديد بعض المجالات التي تلتقي عندها الأسئلة. فجاءت الدراسة مبنية على النحو التالي:

الفصل الأول: الفكر ومراتب الواقع

القسم الأول: الإنسان ومعارفه: إعمال الفكر

ألف- فلسفة المنطق

باء- منطق الفلسفة

القسم الثاني- الإنسان والواقع الطبيعي

ألف- إبستمولوجيا علوم الطبيعة

باء- نظرية الواقع الطبيعي

القسم الثالث: الإنسان والواقع الاجتماعي

ألف- منطق التفسير

باء: الفلسفة الاجتماعية والسياسية

الفصل الثاني: اللغة، والعمل، والنزعة الإنسانية

القسم الرابع: الإنسان واللغة

ألف: إبستمولوجيا علم اللغة

باء: فلسفات اللغة

القسم الخامس : الإنسان والعمل

ألف: نظرية الخطاب العملي

باء: فلسفات العمل

القسم السادس: الإنسان وأسس الإنسانية

ألف: الإنسان وفقاً للفكر الشرقي

باء: الإنسان وفقاً للفكر الغربي

جيم: فلسفة الدين.

وعن هذه الدراسة كتب الفيلسوف جاك هافي، وكان نائباً لمساعد المدير العام لقطاع العلوم الاجتماعية وتطبيقاتها، أنها بمثابة تنوير للدراسة الشاملة للعلوم الاجتماعية والإنسانية وأنها دراسة منظورية واسعة الأفق وخالية من أي دوغمائية، بل تعددية لأنها تريد أن تكون مرآة لتنوع المدارس الفكرية والاختلافات فيما بينها؛ وهي ليست "خلاصة" غايتها إيجاد الخط الموحد بين مختلف أجزاء الدراسة بقدر ما هي عملية استحضار أو "استعادة" ترصد مختلف مراحل مسيرة البحث عن الحقيقة وانتقالها من مستوى إلى آخر، بدافع التأسيس لفهم مباشر للخطاب العلمي- وقد لا يكون ممارسو العلوم الوضعية على استعداد دوماً لاعتناق هذه العملية في دافعها ونهجها، أو لتبني نتائجها، اللهم إلا إذا اختاروا بين هذه النتائج ما يتفق ومعاييرهم وميولهم، أي إذا ألبسوا النظريات الفلسفية حلة غير فلسفية. وفي وقت انتصار العلوم الإنسانية والاجتماعية، تظل اليونسكو وفيه لرسالتها الفلسفية، ومفادها أن العلوم الوضعية وكذلك المذاهب الغائية وحتى مرجعياتها المتعالية هي محل امتحان وتساؤلات

جزرية لا تقبل أي جواب أحادي مطلق وما على الإنسان إلا أن يتقبلها ويعتقها اعتناقه لإنسانيته، مما يمثل تحدياً نابغاً من ذات الإنسان لا يحتاج لأي مبرر خارجي ومجازفة واعية وخياراً حراً.³⁷

الحق في الفلسفة

التفكير في الفلسفة اليوم بمختلف مذاهبها، والتأمل في صلاحية فلسفة الماضي للزمن الحاضر، وفي فلسفة الماضي في الوقت الحاضر: هي ذي المهام الثلاث التي يعود إليها قسم الفلسفة على الدوام، ولا سيما حرصاً منه على وضع العمل الفلسفي في متناول الجمهور، كما فعل مثلاً عندما شارك في عقد سلسلة المحاضرات العامة في موضوع "الفلسفة والعلوم الإنسانية" بصورة منتظمة. ولئن كان هذا المقام لا يتسع لإيراد قائمة كاملة بهذه المحاضرات إلا أن من المفيد عرض الأسباب الكامنة وراء انتقاء موضوعاتها واختيار المدعوين لإلقائها، ونذكر منهم على سبيل المثال لا الحصر أولئك الذي شاركوا في محاضرات عام 1989:

V. Koudriavtsev و I. Prigogine و , Roberts-Jones و Jean Starobinski و Jeanne Hersch و E. Lazlo و Thomas والأب و J.J.Servan Schreiber و J.C. Derian و F. Sezgin و E. Pisani و A. Langaney و Y.

و J. Guiant و J. Bouveresse و G.G. Granger و E. Sullerot و J. Vuillemin .³⁸

ويتجلى في هذه القائمة المتنوعة إصرار المنظمة على ضرورة إفساح مجال حوار عام يشترك فيه علماء من اختصاصات قد تباعد بينهم لولا ذلك من فلاسفة وعلماء في اللاهوت والاجتماع والأنثروبولوجيا والأخلاق ومن المفكرين السياسيين وكلهم من مذاهب فكرية متنوعة ومن المبرزين في مجالات اختصاصهم يؤتى بهم من شتى بقاع الأرض لتناول ما يلح ويستجد من موضوعات العصر، مثل: العالم الحديث وحدوده أو حقوق الإنسان من منظور الفلسفة³⁹، والفيزياء والتجربة الدينية، والثورة

³⁷ المصدر السابق، ص XLIX

³⁸ قائمة المحاضرات المقررة لعام 1989، محفوظات قسم الفلسفة

³⁹ Jeanne Hersch : *Les droits de l'homme au point de vue philosophique*, archives UNESCO

المعرفية والتكنولوجية، والجغرافيا والأنثروبولوجيا، وكونفوشيوس، وويتغنستاين، وهايدغر⁴⁰.

إن جعل الفلسفة موضوعاً عاماً يعني طرح التساؤل الفلسفي بشأن الغاية من الفلسفة، الأمر الذي يستدعي البحث في ماهية الفلسفة، وهو سؤال يظل مفتوحاً. وقد دعي جاك ديريدا في 23 أيار/مايو 1991 إلى بحث هذا الموضوع في اليونسكو في إطار اجتماع مائدة مستديرة بعنوان الحق في الفلسفة من زاوية المواطنة العالمية.⁴¹ وهو عنوان يحيل بلا ريب إلى نص سباق لكانط بعنوان: *تصور لتاريخ العالم من منظور كوسموبوليتي* وضع في أفق الاحتمالات الفلسفية قيام مؤسسات دولية مثل اليونسكو، وهي مؤسسات نشأت في القرن العشرين وأصبحت بحق كيانات فلسفية لأنها أخذت على عاتقها تطبيق مفاهيم فلسفية تتعلق بالحق الدولي، وحقوق الإنسان، والتاريخ العالمي، وأعطتها شرعيتها مكرسة إياها حتى في لغة موثيقها التأسيسية.

ولكن إذا كانت اليونسكو مؤسسة فلسفية فما حاجتها إلى قسم مخصص للفلسفة؟ وهو ما يطرح من جديد سؤالاً سبق أن طرحه كانط في *صراع الكليات*، وكان رد شيلينغ عليه أنه لما كانت الفلسفة تعم الجامعة من أقصاها إلى أقصاها فلا داع لحبسها في كلية للفلسفة. فطرح من جديد على هذا النحو مسألة اليونسكو كمكان للفلسفة: إذا كان يتعين أن تعم الفلسفة اليونسكو بأسرها، فهل يصح أن يخصص لها فيها مكان بعينه؟ وواقع الحال أن الرسالة المسندة إلى اليونسكو رسالة واضحة تتمثل في تشاطر ثقافة ولغة فلسفية يكون التعليم السبيل إليهما، أي بمعنى آخر الاعتراف بالحق في الفلسفة من منظور المواطنة العالمية.

⁴⁰ Heidegger, *l'homme et le philosophe*, avec la participation de Pierre Aubenque, Jeanne Hersch, Paul Ricoeur, Alberto Wagner la Reyna, Rainer Wiehl, le jeudi 7 décembre 1989, à l'UNESCO.

⁴¹ Jacques Derrida: *Le droit à la philosophie du point de vue cosmopolitique*, Paris, Verdier/éditions UNESCO, 1997.

الطبيعة الإنسانية وثقافة السلام

رأينا أن إحدى المهام الأساسية لليونسكو هي دعم الفلاسفة، لاسيما في تأملهم في الحاضر، والإسهام في نشر أعمالهم ووضعها في متناول الجميع. كما أن لها، بوصفها منظمة فلسفية، تأملها الفلسفي الخاص في المفاهيم الفلسفية التي ترشد عملها. ولكي نفهم كيف أتت اليونسكو إلى الفلسفة وأي برنامج فلسفي يمكنها اليوم أن تتبناه، لا بد من التذكير بالمسار الذي أفضى بها إلى البرهان على أن الحرب ليست قدر البشرية الطبيعي -المأساوي- وأن بناء السلام هو شأن الثقافة في المقام الأول.

مقدمة لتاريخ الفلسفة في اليونسكو

يطرح تاريخ الفلسفة ثلاثة احتمالات فيما يتعلق بوضع إشكالية السلم والحرب:

(1) إما أن الحرب هي حقيقة السلام، وأن العنف الخالص هو الذي يحكم الدول. وهذه على سبيل المثال نظرية توماس فوبس الذي وصف في كتابه "اللويثان" Le Leviathan الحالة الطبيعية بأنها حالة حرب الجميع ضد الجميع؛ ونظرية باسكال الذي قال "لما كنا لم نستطع فرض العدل بالقوة، فقد صنعنا القوة العادلة"؛ كما أنها نظرية ماكيافيللي. (2) أم أن السلم هو حقيقة الحرب أي أن الحرب ليست سوى تغير في حالة طبيعية (حادث عرض لجوهر هو السلم). وهو موقف توماس الأكويني القائم على الحق الذي يجيز الحروب العادلة التي هي عنده العودة بالسياسة إلى مجراها الطبيعي. (3) أم أن السلام هو مثل أعلى يجب إحلاله في الواقع، كما في رسالة كانط في السلام الدائم (1795) حيث استوحى مباشرة أفكار الراهب دي سان بيير بتعليق جان جاك روسو وطبق على فكرة السلام هذه فلسفته النقدية جاعلاً إياها قانوناً كلياً للعقل العملي. فما هي شروط قيام سلام دائم بين الشعوب والدول؟ إنها شروط ثلاثة: يجب أن تكون الجمهورية النظام السياسي للدولة؛ وأن يبنى حق الناس (القانون الدولي) على اتحاد (فدرالية) بين دول حرة؛ وأن يقتصر حق المواطنة العالمية على شروط الضيافة الكونية⁴².

⁴² Voir Kant : *De la paix perpétuelle*, Préface de Françoise Proust, Paris, Garnier- Flammarion ; et l'article de cette dernière dans *Guérir de la guerre et juger a paix*, actes du Colloque tenu à l'UNESCO, sous la responsabilité de Rada Ivekovic et Jacques Poulain, Paris, L'Harmattan 1998

في ظل فلسفة الحرب يكون العنف هو لغة العلاقات العادية بين البشر، أما في ظل فلسفة السلم فالحرب لا تقبل إلا إذا كانت السبيل إلى السلم. بل يجب الذهاب إلى أبعد من ذلك وعدم الاكتفاء بتحجيم الحرب والحد من نطاقها وإنما منع أي احتمال لقيامها. وهي فكرة مشروع السلام الدائم للراهب دي سان بيير، أي "الإقلاع إلى الأبد عن استخدام لغة السلاح". ففكرة السلام الدائم تمر إذن بفكرة وضع أسس للسلام مما يفترض وجود إرادة مشتركة في إقامة سلام مستديم من خلال الحق والقانون. وهذه الإرادة ليست في رأي كانط إرادة الوسيلة وإنما هي الغاية، والأخلاق هي في آخر المطاف الأساس والمنطلق لرفض الحرب. فالسلام ليس إذن هدفاً ظرفياً ولكنه واجب، وهو الفكرة التي تقود إلى استنباط حالة عالمية جديدة يسودها سلام دائم أي سلام كلي وشامل. فكيف السبيل إلى تحقيق هذه الفكرة الأخلاقية في السياسة؟ الجواب هو عبر إنشاء عصابة للأمم، وعن طريق وضع قانون عام للأمم .

ومن هذا الموروث الكانطي الضمني جاء تأسيس عصابة الأمم في عام 1919 وتوقيع ميثاق بريان كيلوغ في 27 آب/أغسطس 1928، انطلاقاً من الرغبة في أن تنتسج إلى كل دول العالم هذه الإرادة في الإقلاع عن الحرب لأن الحرب لا يمكن إلا أن تكون عالمية. وقد كتب رينيه كاسان في *Journal de Genève* قبل بضعة أيام من توقيع الميثاق قائلاً إن أهمية هذا الميثاق تتمثل في نقل فكرة لاشريعة الحرب من مجال الأخلاق إلى مجال السياسة الحكومية⁴³.

السلام هو فكرة نابعة من العقل وغاية نصبو إليها وفي مقدورنا الاقتراب منها. هنا يكمن المبدأ الفلسفي لليونسكو. وعندما أكد المؤسسون الفكريون لليونسكو أن حصون السلام يجب أن تبنى في عقول البشر لأن الحروب إنما تتولد في عقولهم، افترقوا بذلك عن الفكر التشاؤمي الذي ساد في فترة ما بين الحربين لدى مفكرين هزتهم الأزمة الحضارية بعنف، مثل بول فاليري وسيغموند فرويد وادموند هيسيرل، وكان يحدهم الإيمان بمستقبل البشرية مطمئنين إلى بزوغ حقبة تاريخية جديدة. ونجد المؤتمر العام يكرر بلا هوادة، في أولى وثائقه، أن قضية السلام التي كرس لها المنظمة ستكون الهم الأساسي لليونسكو في كل أنشطتها. وبرز منذ البداية اتجاهان متعارضان، فالسلام بالنسبة للبعض لا يمكن أن ينتشر في العالم إلا من خلال جهد مكثف لتعميم التعليم على المستوى الشعبي تخدمه وسائل الإعلام؛ بينما رأى البعض الآخر ضرورة التركيز على النخب الحاكمة التي تتحمل

⁴³ Voir Marc Agi : *René Cassin, prix Nobel de la Paix, père de la Déclaration universelle des droits de l'homme*, Paris, Perrin, 1998.

مسؤولية "إشعال الحروب"⁴⁴ لحملها على تغيير نهجها في التفكير. بيد أن اختلاف الآراء حول وسائل منع الحروب لم يحل دون الاتفاق التام على أسبابها.

المسألة العنصرية، والعلم، وغريزة الحرب

اعتبر منذ البداية أن أحد الأسباب الأولى لاندلاع الحرب العالمية الثانية يكمن في استغلال الجهل والانحياز للخروج بنظريات شبه علمية تقول بعدم المساواة بين الأجناس وبين البشر. فأخذت اليونسكو إذن منذ عام 1950 تجمع الفلاسفة والعلميين لمكافحة هذه الإيديولوجيا شبه العلمية وإثبات أن مفهوم العنصر لا يستند إلى أي أساس بيولوجي. وابتداء من عام 1951 صدرت بإيحاء من اليونسكو سلسلة بعنوان: *المسألة العنصرية في مواجهة العلم الحديث*، كان من بين منشوراتها *Race et Biologie* بقلم L.C. Dunn، و *Race et civilisation* بقلم Michel Leiris و *Race et psychologie* بقلم Otto Klineberg و *Les mythes raciaux* بقلم Juan Comas و *origine des préjugés* بقلم Arnold Rose، و *Race et histoire* بقلم Claude Lévi-Strauss و *Race et société* بقلم Kenneth Little. وفي عام 1964 اجتمع في موسكو اثنان وعشرون من علماء البيولوجيا والأنثروبولوجيا اعتمدوا "طروحات في الجوانب البيولوجية للمسألة العنصرية".

وسرعان ما تحولت هذه المهمة إلى واجب من واجبات اليونسكو إذ أعلنت المنظمة في عام 1978، امتثالاً لتوصيات الخبراء الذين جمعتهم، أنه تقع على العلميين مسؤولية حماية بحوثهم من أي استغلال عنصري والعمل على توعية الجمهور لكي يتلقى نتائجها على الوجه السليم. ولكي يتسنى تنظيم قوة الأفكار وفعاليتها ينبغي أولاً فسخ المجال أمام العلميين للاجتماع من أجل التداول في احتمالات ومخاطر إساءة استخدام أعمالهم، كما ينبغي السعي أيضاً من أجل أن يفسر الناس هذه الأعمال ويفهموها بصورة سليمة. وقد وسعت ندوة أئينا عام 1981 نطاق هذه المهمة على نحو يتجاوز نقد الإيديولوجيات ذات المزاعم العلمية الرامية إلى شرعنة العنصرية والممارسات التمييزية، ليشمل كافة الإيديولوجيات التي تستهدف تسويغ الهيمنة والعنف. فبيّن الأنثروبولوجي سنتياغو جينوفيس كيف أن المفاهيم العلمية يمكن أن تفضي إلى تفسيرات خاطئة (الخلط بين العنف لدى الحيوان والعنف لدى البشر، وبين بقاء الأصلح وبقاء الأقوى، وبين العلل الطبيعية والعلل الثقافية). وسار اجتماع إشبيلية على النهج ذاته.

⁴⁴ Jean Thomas: *U.N.E.S.C.O.*, Paris, Gallimard, 1962 page 188.

إن بيان إشبيلية عن العنف، الذي اعتمد في 16 أيار/مايو 1986، هو قبل كل شيء إعلان جدلي ثبت فيه العلماء رفضهم لكل إيديولوجيا تريد أن تبرهن علمياً أن الحرب والعنف قدران محتّمان على البشر. والمقصود بهذا البيان، الذي يدين بالكثير لأعمال البروفسورين D. Adams و T. Varis، الدحض العلمي للأسطورة القائلة بأن العنف قدر مسطر في البيولوجيا البشرية. وهي أسطورة حاك خيوطها التلاعب المتعمد بالأعمال والنظريات العلمية بغية تبرير العنف والحرب باعتبارهما من الصفات الطبيعية للبشر. وحدد البيان خمس أطروحات خاطئة من الزاوية العلمية وهي:

- من الخطأ علمياً القول بأن الإنسان يرث من الحيوان استعداداه للاقتتال أيا كانت درجة هذا الاستعداد. فالحيوانات لا تقتتل بالضرورة، والإنسان يتميز عن الحيوان بأنه ينتج ثقافة. والحرب ليست حتمية بيولوجية ولكنها نتاج للثقافة والثقافة قابلة للتطور.
 - من الخطأ علمياً افتراض أن يكون الإنسان مبرمج وراثياً للحرب أو للعنف. فشخصية الأفراد هي نتائج لتفاعل مركب بين رصيدهم الوراثي وبين تربيتهم، أي الثقافة البشرية.
 - خاطئة علمياً فكرة الانتخاب الطبيعي لصالح العدوانية في التطور البشري، بل يبدو بالعكس أن القدرة على التعاون هي التي ترتبط بطيب العيش.
 - خاطئة علمياً الأطروحة القائلة بأن طبيعة جهازنا العصبي هي التي تدفعنا إلى العنف: فالمخ البشري ليس "مخاً عنيفاً".
 - من الخطأ علمياً أن يعزى الدافع الأوحده للحرب إلى الغريزة أو إلى أي باعث آخر منفرداً.
- إن هذا البيان الصادر عن جماعة من العلميين يشهد أولاً بوعي العلماء بمسؤوليتهم في تفسير واستخدام نتائج أبحاثهم وإدراكهم لحدود العلم.

فهاهم أبرز الأخصائيين في علم النفس وفسولوجية الجهاز العصبي وعلم السلالات والأنثروبولوجيا الأحيائية يرفضون إيديولوجية تنادي بحتمية نزعة الإنسان نحو العنف ويناشدون العلوم الإنسانية والاجتماعية أن تحلل الظواهر المركبة للحرب والعنف المنظم. وهم الذين يقرون بأن العلم هو نتاج الثقافة ولا يمكن أن تكون نتائجه نهائية وشاملة لجملة الأنشطة البشرية. فهم ينطلقون إذن من حيز العلم لتفنيد الفكرة المضللة التي تدعي أن بيولوجيا الإنسان هي التي تحكم

عليه باللجوء إلى الحرب، ويجعلون بالتالي من الممكن ابتكار السلام للأجيال المقبلة.

ابتكار مفهوم ثقافة السلام

مع عقد ندوة ياموسوكرو (كوت ديفوار) التي افتتحت يوم 26 حزيران/يونيو 1989، باشرت اليونسكو تأملها في الحتميات الإيجابية المبشرة بحلول السلام. فلم نعد بصدد وضع قائمة حصر لأسباب الحروب أو استجلاء العقبات التي تعترض تسوية الصراعات، وإنما بات المقصود فتح المجالات واسعة لإمكانيات بناء السلام، وتحديد طبيعة وبنية ووظيفة إسهام اليونسكو في هذه المهمة في مجالات اختصاصها.

وكان عنوان هذه الندوة التي اجتمع فيها مائة وستون من الأخصائيين والشخصيات والمراقبين من العالم أجمع "السلام في عقول البشر". وقد سبقها اجتماع تحضيرى جرت فيه مناقشة وثيقة عمل وضعت جملة تحت جناح الفلسفة مستوحية سبينوزا ("ليس السلام مجرد غياب الحرب") وكانط، ومستندة إلى أحدث الأبحاث العلمية. واستشهد المدير العام أيضاً بكانط قائلاً: "ليست حرب الإبادة التي يصيب فيها الدمار كلا الطرفين معاً وفي وقت واحد سوى إبادة لكل حق والسلام الدائم الوحيد الذي يمكن أن تحققه هو سلام المقابر التي يتوارى فيها النوع البشري برمته"⁴⁵

ويعود إلى ندوة ياموسوكرو (28 حزيران/يونيو 1989) ابتكار مفهوم ثقافة السلام والفكرة الناظمة له وهي أن السلام لا يمكن إلا أن يؤسس على الاحترام المطلق لحقوق الإنسان وفي بيئة ملائمة. ولم يمض عام واحد حتى انهار جدار برلين (تشرين الثاني/نوفمبر 1989). إن ما يميز عمل اليونسكو عن عمل منظمة الأمم المتحدة هو أن جهودها لا تصب على إدارة الأزمات وإنما على الحوار والوساطة والتفاوض، والتعامل باستمرار مع أطراف جديدة للحوار في المجتمع المدني بالإضافة إلى حوارها مع الدول من أجل التعاطي مع مسألة الأمن من زاوية جديدة⁴⁶

ومنذ ذلك الحين باتت اليونسكو ترى أن مهام صون السلام واستعادته وتوطيد أركانه بالإضافة إلى بنائه في عقول البشر ينبغي ألا تعامل كمهام متميزة ومتتابعة زمنياً، فهي يمكن أن تكون متزامنة وأن ينعكس تسلسلها. فاليونسكو لا تتصور

⁴⁵ Federico Mayor : *Allocation d'ouverture à la réunion préparatoire du Congrès de Yamassoukro (Côte d'Ivoire)*, en date du 6 septembre 1988, Archives de l'UNESCO

⁴⁶ Voir *Unité de la paix et des nouvelles dimensions de la sécurité*, Avant-propos de Moufida Goucha, UNESCO, 1999.

السلام أبدأً كغياب النزاع بل ترى أن النزاع هو جزء لا يتجزأ من العلاقات البشرية. وغاية ثقافة السلام ليست القضاء على النزاعات سعياً إلى توافق مستحيل بقدر ما هي منعها من الوصول إلى مرحلة الانفجار .

ويستتبع ذلك ما يسمى بنظرية المثلث التفاعلي التي ترى أنه لا يمكن فصل ثقافة السلام عن الديمقراطية وحقوق الإنسان وعن التنمية. فالديمقراطية هي التي تتيح لكل فرد إمكانية التعبير عن أفكاره، مما يفترض احترام تعددية الآراء والاعتراف بالحق في إذاعتها؛ والديمقراطية هي أيضاً مشاركة المواطنين في الحياة السياسية ابتداءً من التصويت وحتى التشريع؛ ويشترط فيها الحوار وفتح مجالات عامة يمكن أن يشارك فيها المواطنون في الحياة السياسية. ولا يمكن أن توجد ثقافة السلام أيضاً دون حماية حقوق الإنسان ونشرها وتطبيقها، سواء كانت هذه الحقوق مدنية وسياسية أو اقتصادية واجتماعية، أو حقوق الجيل الثالث⁴⁷ ولا يمكن أخيراً أن توجد ثقافة سلام دون التنمية المستدامة وتضييق الفوارق الاقتصادية والاجتماعية على الصعيدين الوطني والدولي، والكفاح ضد عولمة تقسم البشرية إلى قسمين: أولئك الذين يتمتعون بمزايا الحداثة وأولئك المحرومون منها بفعل قانون السوق أو بسبب حوكمة غير ديمقراطية.

لقد انتقلت اليونسكو من فلسفة السلام إلى فلسفة ثقافة السلام وأصبح التعليم ابتداءً من عام 1989 الوسيلة الأفضل لتحقيق ثقافة السلام. وهو تعليم مبنيّ أولاً على أساس إيقاظ الفكر النقدي والحكم الحر، أي على أساس فلسفي. ذلك أن الفلسفة، وفقاً للمدير العام في الكلمة التي ألقاها في حفل افتتاح كرسي اليونسكو للفلسفة في سنتياغو دي شيلي، هي بامتياز وبلا منازع مدرسة الحرية التي تفتح لنا أبواب المستقبل. وبذا رسخت الفلسفة أقدامها أكثر من أي وقت مضى في برامج اليونسكو.

إعلان باريس بشأن الفلسفة

نحن المشاركون في الأيام الدراسية الدولية بشأن "الفلسفة والديمقراطية في العالم" التي نظمتها اليونسكو في يومي 15 و16 شباط/فبراير 1995،

⁴⁷ أنظر:

إذ نلاحظ أن المشكلات التي تتناولها الفلسفة هي المشكلات الكونية لحياة الإنسان ووجوده،

وإيماناً منا بأن التأمل الفلسفي يمكنه وينبغي له أن يسهم في فهم وتسيير الشؤون الإنسانية،

وإذ نرى أن ممارسة الفلسفة التي لا تستبعد أي فكرة من النقاش الحر والتي تسعى إلى وضع التعاريف الدقيقة للمفاهيم المستعملة، وإلى اختبار سلامة التفكير المنطقي، وإلى الفحص الدقيق لحجج الآخرين، إنما تمكن كل فرد من أن يتعلم كيفية التفكير المستقل،

ونشدد على أن تدريس الفلسفة يشجع على تفتح العقل وروح المسؤولية المدنية، كما يشجع على التفاهم والتسامح بين الأفراد والجماعات؛

ونؤكد من جديد أن التربية الفلسفية، إذ تسهم في تنشئة أفراد ذوي رأي مستقل وفكر حر قادرين على مقاومة شتى أشكال الدعاية، إنما تعد كل فرد للاضطلاع بمسؤولياته في مواجهة القضايا الكبرى في العالم المعاصر ولا سيما في ميدان الأخلاقيات؛

ونؤكد أن تنمية النقاش الفلسفي في مجال التعليم وفي الحياة الثقافية تسهم إسهاماً كبيراً في إعداد المواطنين عن طريق تمكينهم من ممارسة قدرتهم على تكوين الأحكام، وهذا عنصر أساسي في أي نظام ديمقراطي.

ولذا فإننا، إذ نتعهد بفعل كل ما يسعنا في إطار مؤسساتنا وفي بلد كل منا لتحقيق هذه الأهداف، نعلن ما يلي:

ينبغي أن يكون من حق جميع الأفراد في كل مكان أن يدرسوا بحرية الفلسفة بجميع أشكالها وفي جميع الأماكن التي يمكن أن تُمارس فيها؛

ينبغي الحفاظ على تدريس الفلسفة أو التوسع فيه حيثما وجد، وتوفيره حيثما لا يوجد بعد، وتسميته صراحةً "تعليم الفلسفة"؛

ينبغي أن يتولى تدريس الفلسفة معلمون متخصصون مدربون لهذا الغرض، وينبغي ألا تخضع الفلسفة لاعتبارات اقتصادية أو تقنية أو دينية أو سياسية أو أيديولوجية؛

ينبغي ربط تدريس الفلسفة ربطاً فعلياً، حيثما أمكن، بالتدريب الأكاديمي أو المهني في جميع الميادين، على أن يظل مستقلاً مع ذلك؛

ينبغي تشجيع توزيع الكتب التي تكون في متناول الجميع من حيث اللغة ومن حيث الثمن على جمهور عريض من القراء، وإنتاج برامج إذاعية وتلفزيونية وأشرطة سمعية وأشرطة فيديو، واستخدام جميع أشكال التكنولوجيا السمعية البصرية والمعلوماتية في الأغراض التعليمية، وإتاحة فرص عديدة للنقاش الحر، وتشجيع جميع المبادرات التي من شأنها تزويد أكبر عدد من الناس بمعرفة أساسية بالقضايا والمناهج الفلسفية، وذلك بغرض توفير تثقيف فلسفي للراشدين؛

ينبغي لمؤسسات البحوث والتدريس أن تلتزم وتساند المعرفة بالتأملات الفلسفية لشتى الثقافات، ومقارنة إسهام كل منها، وتحليل أسباب تقاربها وتباعدها؛

إن الفلسفة باعتبارها بحثاً عن الحقيقة بلا قيود لا يمكنها أن تنظر إلى أي حقيقة على أنها حقيقة نهائية، وهي وإن كانت تشجع على احترام عقائد الفرد لا يمكنها بأي حال من الأحوال أن تقبل المذاهب التي تنكر حرية الآخرين وتنال من كرامة الإنسان وتبذر بذور المهجبة، وإلا كانت تنتكر لجوهرها ذاته.

وقد اعتمد هذا الإعلان الأشخاص التالية أسماؤهم:

البروفيسور روبين غ. أبريسيان (معهد الفلسفة التابع لأكاديمية موسكو للعلوم، الاتحاد الروسي)، والبروفيسور تانيللا بوني-كوني (جامعة أبيدجان، كوت ديفوار)، والبروفيسور تزوتشو بويادجيف (جامعة سانت كليمنت أوهريد، صوفيا، بلغاريا)، والبروفيسور إن-سوك شا (الأمين العام للجنة الوطنية لليونسكو في جمهورية كوريا، سول، جمهورية كوريا)، والبروفيسور ماريلينا شاوي (جامعة ساو باولو، البرازيل)، والبروفيسور دونالد دافيدسون (جامعة بيركلي، الولايات المتحدة)، والبروفيسور سليمان بشير ديان (جامعة داكار، السنغال)، والبروفيسور فرانسوا دوسو (جامعة بنين الوطنية، كوتونو، بنين)، والبروفيسور مايكل دوميت (أوكسفورد، المملكة المتحدة)، والبروفيسور أرتان فوغا (جامعة تيرانا، ألبانيا)، والبروفيسور اومبيرتو غيانيني (جامعة سانتياغو دي شيلي، شيلي)، والبروفيسور بولان ج. اونتونجي (جامعة بنين الوطنية، كوتونو، بنين)، والبروفيسور ايوانا كوشورادي (الأمين العام للاتحاد الدولي لجمعيات الفلسفة، أنقرة، تركيا)، والبروفيسور دومينيك لوكور (جامعة باريس السابعة، باريس، فرنسا)، والبروفيسور نيللي موتروشييلوفا (جامعة موسكو، الاتحاد الروسي)، والبروفيسور ساتشيدانادا مورتي (نائب رئيس الاتحاد الدولي لجمعيات الفلسفة، الهند)، والبروفيسور اولريش يوهانس شنيدر (جامعة ليزغ، ألمانيا)، والبروفيسور بيتر سيراشينو انغلوت (رئيس جامعة مالطة)، وسعادة محمد علال سيناصر (المدير السابق لقسم الفلسفة في اليونسكو، الرباط، المغرب)،

والبروفيسور ريتشارد شوستيرمان (جامعة تيمبل، فيلاديلفيا، الولايات المتحدة)،
والبروفيسور فتحي تريكي (عميد كلية الآداب والعلوم الاجتماعية، صفاقس،
تونس)، والبروفيسور سوزانا فيلافيسينشيو (جامعة بوينس آيرس، الأرجنتين).

التعليم الفلسفي والديمقراطية في العالم

أصبح قسم الفلسفة ابتداء من عام 1994 تابعا لمساعد المدير العام مباشرة واتخذ نشاطه التوجهات الجديدة التالية: برنامج الديمقراطية والفلسفة في العالم، ولقاءات اليونسكو الفلسفية، وكراسي اليونسكو الجامعية للفلسفة.

الاستقصاء الدولي الأول عن تعليم الفلسفة

كانت اليونسكو قد أجرت في عامي 1951 و1952 استقصاءها الشهير عن تعليم الفلسفة، ولاسيما عن مكانته في النظم التعليمية لمختلف البلدان، ودوره في تكوين المواطن، وأهميته في التوصل إلى تفاهم أفضل بين البشر⁴⁸. وقد نشر التقرير الخاص بهذا الاستقصاء مشفوعاً بتحليل عام للمشكلات التي يثيرها تعليم الفلسفة أعده المفتش العام للفلسفة الشاب جورج كانغلهيم، الذي كان من عناصر المقاومة الفرنسية، على غرار جاك هافي الذي شارك أيضاً في الاستقصاء كموظف في قسم الفلسفة والعلوم الإنسانية باليونسكو. ورافق التقرير إعلان مشترك للخبراء رأوا فيه أن تعليم الفلسفة، في المجتمعات التي يوجد فيها مثل هذا التعليم، ينم عن الأهمية التي توليها هذه المجتمعات للفكر الفلسفي باعتباره عاملاً ضرورياً لتوعية الفرد بالقضايا الأساسية المطروحة في مجال العلم والثقافة، وبالتالي لتوجيه سلوكه بناء على تفكير شخصي وحر في القيم الإنسانية. ورأوا بالتالي ضرورة المحافظة على هذا التعليم وصونه وتطويره حيثما وجد، واستحدثاته في بلدان العالم التي لا وجود فيها لمثل هذا التعليم. ورأت اللجنة أن من الأمور الأساسية في هذا المضمون ما يلي:

أ) أن تكون حرية البحث وحرية النقاش هي الروح السائدة دوماً في تدريس الفلسفة؛

ب) ألا يكون هناك أي مساس على الإطلاق باستقلالية الفكر والتعليم الفلسفي، سواء مباشرة من خلال الهياكل المؤسسية أو بصورة غير مباشرة عن طريق تدخل القوى المنظمة الرسمية وغير الرسمية.

ج) ألا يقتصر هذا التعليم، وهو الموجه تعريفاً إلى جميع أفراد المجتمع دون أي تمييز، على بعض التلاميذ والطلبة دون غيرهم، لأسباب لا تتعلق بمقتضيات التنافس والتوجيه المدرسي في إطار المؤسسات التعليمية للمجتمع.⁴⁹

دراسات إقليمية عن التعليم الفلسفي والبحوث الفلسفية

في الفترة التي كان فيها أحمد مختار أمبو مديراً عاماً للمنظمة، طلب المؤتمر العام إجراء دراسات تفضي إلى إصدار مطبوعات بشأن التعليم والبحث الفلسفيين في كل منطقة من مناطق العالم. فنُظّم اجتماع للفلاسفة في حزيران/يونيو 1980 في نيروبي (كينيا)⁵⁰ وآخر في شهر شباط/فبراير 1983 في بانكوك (تايلاند)⁵¹ وثالث في حزيران/يونيو 1985 في ليما (بيرو)⁵² ثم في بيروت⁵³ صدر عنها جميعاً عدد من المطبوعات. كما صدر في عام 1993 كتاب عن الفلسفة في أوروبا بالتعاون مع المعهد الدولي للفلسفة والمجلس الدولي للفلسفة والعلوم الإنسانية.⁵⁴

الديمقراطية والفلسفة في العالم

عاد روجيه بول دروا في عام 1994 إلى حيث انتهى استقصاء عام 1951 وعمل على تحديثه والتوسع فيه وتلقى اسهاماً من شخصيات من ستة وستين بلداً رغبة في فتح مجالات جديدة للتفكير والنقاش بشأن مكانة الفلسفة في ثقافات اليوم وفي تكوين الفكر الحر لدى المواطنين⁵⁵. وأفسح المجال لعدة فلاسفة لكي يعدوا تقارير عن الفلسفة والعمليات الديمقراطية في افريقيا (بولين هوتونديجي) وفي شيلي (سيسيليا سانشيز)، وفي ألمانيا بعد عام 1900 (أولريش ج. شنايدر)، وفي أمريكا اللاتينية (باتريس فرميرين)، وفي أمريكا الشمالية (كريستيان دي لا كامباني)، وعن علاقات الفلسفة بالتكافل الاقتصادي (فرانسوا راشلين)، وبالتقنيات الالكترونية (لوقا سكارانتينو) والتعليم العلمي (دومينيك ليكور) والفلسفة السياسية

⁴⁹ *L'enseignement de la philosophie, enquête internationale*, UNESCO, 1953, pages 17-25

⁵⁰ *Teaching and research in philosophy: Africa*, Paris, UNESCO, 1984

⁵¹ *Teaching and Research in philosophy: Asian and Pacific*, Paris, UNESCO, 1986

⁵² *La enseñanza, la reflexión y la investigación filosóficas en América Latina y el Caribe*, Madrid, Tecnos- Unesco, 1990

⁵³ *Etudes sur l'enseignement et la recherche en philosophie dans le monde arabe*, Beyrouth, Dar al- Guarb al - Islami, 1990

⁵⁴ *La philosophie en Europe*, sous la direction de Raymond Klibansky et David Pears, Paris, Gallimard/UNESCO, 1993.

⁵⁵ Roger-Pol Droit : *Démocratie et philosophie dans le monde, préface de Federico Mayor*, Paris, Le livre de poche, 1995, page 15.

ومكانة المواطن (إتيين تاسين). واستناداً إلى المواد التي اجتمعت لديه على هذا النحو (أكثر من 2000 صفحة) أعدّ كتاباً من قطع كتاب الجيب حظي بتوزيع واسع جداً باللغات الإنجليزية والفرنسية والإسبانية، وترجمت خلاصته إلى العديد من اللغات الأخرى.

ونظمت أيام دراسية دولية في باريس (15-16 شباط/فبراير 1995) أكد المشاركون فيها من جديد على ما يلي:

(1) أهمية التعليم الفلسفي في إعداد المواطنين وضرورة تنميته في مختلف بقاع العالم نظراً لأن العقل الإنساني هو واحد في كل مكان؛

(2) تشجيع أساليب التدريس الفلسفي التي يستخدم فيها الكتاب والتعليم عن بعد والوسائط السمعية البصرية والوسائط المعلوماتية؛

(3) تيسير انتفاع المؤسسات الفلسفية في البلدان الأقل حظاً بالشبكات الإلكترونية العالمية.

وتوسع هذا البرنامج من خلال إنشاء شبكات إقليمية تنشط بشكل خاص في جنوب شرق آسيا (الاجتماع التأسيسي لشبكة آسيا والمحيط الهادي للتعليم الفلسفي من أجل الديمقراطية (APPEND) في سيول، بكوريا في أيلول/سبتمبر 1995⁵⁶ بمبادرة إي سوك-تشا، ثم في بانكوك)، وفي أوروبا (اجتماع شبكة APPEND في صوفيا، ببلغاريا، بمشاركة ألكسندر أندونوف ودومينيك ليكور في أيلول/سبتمبر 1996)، وفي أمريكا اللاتينية والكاريبية (اجتماع في سانتياغو دي شيلي في تشرين الأول/أكتوبر 1996 بإشراف أومبرتو جيانيني⁵⁷) وفي أفريقيا في أيلول/سبتمبر 1998 (اجتماع ياموسوكرو في كوت ديفوار الذي شهد ولادة شبكة APHIDEM برئاسة تانيليا بوني-كوني). وتكتمل هذا البرنامج بمبادرات أخرى، لاسيما مبادرة الفلسفة المقدمة للأطفال، والموسوعة المتعددة الوسائط للعلوم الفلسفية، وبرنامج دروب المعرفة، وكلها ترمي إلى تحقيق هدف واحد هو وضع الثقافة الفلسفية الدولية في متناول

⁵⁶ *Philosophy and Democracy in Asia*, edited by Philip Cam, In- Suk Cha, Mark Tamthai, Korean National Commission for UNESCO, 1997

⁵⁷ *Filosofía y Democracia*, edición a cargo de Humberto Giannini y Patricia Bonzi, Catedra UNESCO de Filosofía, Chile, Editorial Lom, Santiago de Chile, 1997

الناس. وإن برنامج "الفلسفة والديمقراطية في العالم"، شأنه شأن سائر مساهمات الفيلسوف روجي بول-دروا، يشهد بخصوصية العلاقة الوثيقة القائمة بين الفلسفة الحية واليونسكو.

حلم أرسطو

جاك لاكان

ونجعل فارقاً بين الشيء وبين ما يمثله. نعمل هذا كي نتمثل الشيء ذهنياً. حيث تكفي، كما يقال، بعض الكلمات التي "تعبّر عن" أو "تستدعي" مثل ذلك التمثيل. ثم نتساءل كيف كان أرسطو يتصوره؟ وتجدنا لا نملك بين أيدينا إلا ما حفظه بعض التلاميذ من زمانه. فالتلاميذ يرددون دائماً ما قاله المعلم. والشرط هنا هو أن يكون المعلم على دراية بما كان يقول. ومن الحكم في هذه الحالة سوى التلاميذ أنفسهم؟ لأنهم وحدهم فقط كانوا يعلمون. لذلك - ويؤسفني هنا أن أشهد كمحلل نفسي - أقول بأنهم كانوا أيضاً حالمين. كما كان أرسطو أيضاً يحلم كباقي الناس. أهو الذي أخذ على عاتقه تفسير حلم الاسكندر حين كان يحاصر صور؟ ساتيروس - هذه صور ملك لك. الأمر الذي يضعنا أمام العوبة تفسير نموذجية.

لقد تدرب أرسطو على القياس المنطقي، فهل هذا القياس هو وليد الحلم يا ترى؟ هنا يجب علينا الإقرار بأن القياس المنطقي أعرج دوماً - وهو عادة ثلاثي، ولكنه في الواقع تطبيق للكلي على الجزئي. لأنه إن كان "كل البشر سيموتون" فإن واحدهم سيموت أيضاً. وهنا جاء فرويد ليقول أن تلك هي رغبة الإنسان.

والبرهان على ذلك هو الحلم. فليس أقبح من أن نحلم بأننا محكومون بالعيش بشكل متكرر. من هنا جاءت فكرة نبضة الموت. هذه الفكرة التي وضعها أتباع فرويد الأريستوطاليون في المقدمة، وافترضوا أن أرسطو يراكب الكلي والجزئي، أي يضعون الأمر في إطار التحليل النفسي. والمحلل النفسي يمارس القياس أحياناً، أي أنه يتصرف كأرسطو. الأمر الذي يديم أستاذية هذا الأخير. لكن هذا لا يعني أنه يحيا - فهو باق من خلال أحلامه. لذلك نجد في كل محلل نفسي تلميذاً لأرسطو.

وهنا لا بد من الإقرار بأن الكلي يتحقق أحياناً من خلال التخبط والتلعثم. فتلعثم الإنسان أمر مؤكد. لا بل إنه يجد في ذلك بعض الارتياح والرضى. فنجد الشخص الخاضع للتحليل النفسي يعود في مواعيد محددة إلى طبيبه.

لأنه، ولأسباب نجهلها، يؤمن بالكلي، مع أنه يأتي إلى ما يسمى محلله النفسي بصفته الفردية، أي كجزء من الكل الإنساني. لذلك، وبمقدار ما يحلم المعالج يتوجب على طبيبه أن يتدخل. هل المطلوب إيقاظ المريض؟ هذا ما يرفضه المريض كلياً - فهو يحلم، وهذا يعني أنه يتمسك بخصوصية أعراضه.

ليس في رسالة أرسطو في النفس (Peri psuchès) أدنى فكرة عن هذه الحقيقة التي تشكل مقاومة التحليل النفسي. لهذا السبب عارض فرويد أرسطو الذي لم يقل أي شيء مفيد فيما يخص قضية النفس هذه، هذا إذا كان المنقول عنه وفيّاً.

فالتمييز بين الـ"كل شيء موجود"⁵⁸ والـ"كل شيء في داخلي"⁵⁹، الذي نترجمه عادةً بالـ"ماهية" وبالـ"جوهر" يعكس في الواقع تمييزاً بين ما هو محكي والواقع المتأثر به. الأمر الذي ميزته شخصياً حين تحدثت عن الفارق بين الرمزي وبين الواقعي.

وإن كان صحيحاً، كما ذكرت، أنه لا وجود لعلاقة جنسية، بمعنى أنه لا يوجد في الجنس البشري ما يمكن اعتباره كلية أنثوية، ولا يوجد شيء اسمه "كل النساء"، فإن النتيجة هي أنه يوجد دائماً بين الطبيب النفسي وبين مريضه شخص ثالث إضافي. يوجد ما سأسميه تقديماً للشيء وليس تمثيلاً له. وهذا التقديم هو ما سأدعوه بالمناسبة الموضوع (أ). وهو في منتهى التعقيد.

وهذا ما أغفله أرسطو، لأنه كان يعتقد بأن هناك تمثيل، الأمر الذي استدعى ما كتبه فرويد. فأرسطو فكر في العالم الذي يحلم بأنه كل العالم، بمعنى كل الناس - ولكن دون أن يستنتج أنه كذلك. والعالم الذي يفكر فيه، هو العالم الذي يحلم به، كما هي حال جميع الذين يتكلمون. وتكون النتيجة - كما عبرت عنها - أن هذا العالم هو الذي يفكر. وهذه هي الحلقة الأولى لما يسميه "نحن".

ليس بوسعنا دائماً تقدير مدى هذيان الفيلسوف. طبعاً كان فرويد أيضاً يهذي. فهو يهذي ولكنه يقول إنه يتكلم عن أرقام وعن سطوح. وقد كان بوسع أرسطو افتراض طوبولوجيا من هذا النوع ولكننا لا نجد لذلك عنده أثراً.

لقد تحدثت عن الاستيقاظ. وقد حلمت مؤخراً بأن المنبه يرن. يقول فرويد إننا نحلم برنين المنبه عندما لا نريد أن نستيقظ بأي حال. أحياناً يستشهد الشخص بموضوع التحليل النفسي بأرسطو. فهذا بعض من عدته. إذن

يوجد دائماً بين الطبيب النفسي والخاضع للتحليل أربعة أشخاص. فقد يتحدث الخاضع للتحليل عن أرسطو. ولكن خلف الطبيب النفسي يوجد لاوعيه الذي يستعمله لإيجاد التفسير. هذا كل ما بوسعي أن أقوله. أني أهذي في حلمي فأسمع رنين المنبّه، وأعتبر هذا مؤشراً إيجابياً، إذ أنني أستيقظ، خلافاً لما قاله فرويد، أو أنني في تلك الحالة على الأقل قد استيقظت.

اليونسكو، 1 حزيران/يونيو 1978
بمناسبة مرور 2300 سنة على وفاة أرسطو.

من سانتياغو الشيلي إلى سيول/

ومن تونس إلى مونتريال/ ومن أنقرة إلى كراكاس أو باريس: كراسي اليونسكو
الجامعية

كما أنت الفلسفة إلى اليونسكو كذلك ذهبت اليونسكو إلى الفلسفة. وانطلاقاً من الرغبة في إيجاد مكانات في كل منطقة من مناطق العالم تكون مراجل ومنازل تتبلور فيها الفلسفة في الحاضر وبشكل جماعي، اتخذت اليونسكو مبادراتها المبتكرة الثانية في مجال الفلسفة في هذا العقد الأخير وهي إنشاء كراسي اليونسكو الجامعية للفلسفة في إطار برنامج توأمة الجامعات والكراسي الجامعية الذي استهل في عام 1991.

ما هو كرسي اليونسكو الجامعي؟ إنه أولاً، كما وصفه الباحث في المركز الوطني للبحث العلمي الذي تولى مسؤولية هذا البرنامج في قسم الفلسفة لمدة خمس سنوات⁶⁰، مركز إشعاع لفلسفة حية ذات تقاليد لا ترى في الحداثة تكراراً للقديم وإنما خلقاً جديداً. وهو مكان متميز لتبادل وتشاطر المعارف بين المعلمين والباحثين والطلبة على مستوى رفيع. وهو أخيراً مسرح لحرية التعبير عن تضارب الآراء – على غرار الديمقراطية- يتقبل تعددية المرجعيات والمدارس، ويسعى إلى الحوار دونما اعتبار للحدود، ويتطلب باسم الحق في الفلسفة أن يكون الجميع سواسية في ممارسة هذا الحق. والغرض من كراسي اليونسكو الجامعية للفلسفة هو السعي انطلاقاً من المكان الطبيعي للفلسفة، أي الجامعة، إلى وضع مشكلات العصر في محك التفكير الفلسفي الصارم، ووضع الفلسفة في متناول الجمهور العريض باعتبارها عاملاً أساسياً للتوعية بالقيم الديمقراطية وثقافة السلام.

ولم يتم اعتباراً اختيار أماكن إنشاء هذه الكراسي ولا اختيار موضوعاتها وأساتذتها. فقد أنشئ أول هذه الكراسي في سانتياغو دي شيلي في موضوع:

⁶⁰ Patrice Vermeren : *Qu'est-ce qu'une Chaire UNESCO de Philosophie ?*, Dans *Philosophie*, n°3, 1996.

الفضاء العمومي وتجربة التعددية، بهدف الإنكباب من جديد على دراسة مفاهيم ممارسة المعرفة، واستخدام العقل، والحوار، والحقيقة، والأخلاق، والسلطة، والديمقراطية، ومفهوم الأمة، ومفهوم الهوية. فبعد انتهاء الصراع الإيديولوجي بين القوى العظمى والخروج من النظم الديكتاتورية في أمريكا اللاتينية وما استتبعها من زوال التسييس في عامة المجتمعات وتغييب كل تأمل في الشأن السياسي، استقر نوع من التعايش الديمقراطي جلب معه أشكالاً مقنعة ولاشعورية من الرقابة وخلف فراغاً انتفى فيه كل نقد فلسفي حقيقي للسياسة. وخصص الكرسي أوائل أعماله لدراسة فكرة التسامح الجديدة، مبيناً أن التسامح لا يمكن أن يكون وليد عقلانية عصر التنوير، وكيف أننا لا يمكن أن نتسامح مع ما لا يحتمل ولا يطاق، ودراسة فكرة التسامح باعتبارها مثلاً أعلى لتجربة الحياة وتجربة العيش المشترك. وطرحت من جديد هذا السؤال الأساسي الجذري: ما هو المقبول إنسانياً؟ وما الذي يمكن، إنسانياً، أن يتماهى مع الخير؟ وما الذي يمكن، إنسانياً، اعتباره مشتركاً بين الناس؟ وأشرف على هذا الكرسي الأستاذ أمبرتو جيانيني، أستاذ فلسفة القدماء والعصور الوسطى في كلية الفلسفة والآداب بجامعة شيلى، والحائز على الجائزة الوطنية للآداب في بلده، وله مؤلفات فذة مدهشة وخارجة عن المألوف، كما وصفها بول ريكور في تصديره لطبعتها الفرنسية، تطرح مسألة إمكانية ممارسة العيش معاً دون اختزال هذا العيش المشترك إلى حياة جماعية تعيسة.

وينظم هذا الكرسي منذ عام 1994 حلقات بحث تتخللها أحداث فلسفية منتظمة يجتمع في إطارها فلاسفة وأساتذة وطلاب يتقاطرون من كل بلدان أمريكا اللاتينية ومن العالم أجمع، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: ندوة "سبينوزا" التي استحضرت "كتاب الأخلاق" و"رسالة اللاهوت والسياسة" على ضوء مرحلة الانتقال إلى الديمقراطية، واحتفت بسبينوزا "كناقد للديمقراطية ومناد بضرورة إرساء نظام يفسح مجالاً أوسع للمشاركة في ممارسة المواطنة"⁶¹، كما جاء في الملف الذي كرسه أمبرتو جيانيني لهذا الحدث في سبع صفحات نشرت في عدد *Le Mercurio* الصادر في 4 حزيران/يونيو 1995؛ والمؤتمر الدولي "الفلسفة والديمقراطية في أمريكا اللاتينية ومنطقة الكاريبي" الذي نظم في عام 1999

⁶¹ *Spinoza et la politique*, sous la responsabilité de Humberto Gianni, Pierre-François Moreau, Patrice Vermeren, Editions L'Harmattan, 1995.

بالإضافة إلى تكريم لخوسيه إتشفيريا؛ واللقاءات الثانية بعنوان "المواطنة الديمقراطية والتعليم الفلسفي وثقافة السلام في أمريكا اللاتينية والكاريبية" في عام 1997⁶².

أما كرسي الفلسفة في كاراكاس الموجود في المعهد الدولي للدراسات المتقدمة بجامعة سيمون بوليفار، فهو يتناول موضوع الحوار الفلسفي بين أوروبا وأمريكا اللاتينية وغايته المساعدة على استكشاف الأسس الإبستمولوجية للمعارف العلمية سواء في العلوم الرياضية والطبيعية أو في العلوم الاجتماعية والسياسية والأخلاقية، على أرضية الإشكاليات الفلسفية المشتركة بين أوروبا وأمريكا اللاتينية. واستناداً إلى نقد هايدغر للتقانة حاول شاغل هذا الكرسي أرنستو مايز فالينيللا، أستاذ الفلسفة في جامعة سيمون بوليفار، التشكيك في مسلمات سلطان العقل في الغرب والنتائج التي تمخضت عنها إلى حد اقتراح لغة فوقتقنية جديدة كفيلة باكتناه أحدث البحوث العلمية والتقنية. وقد نظم هذا الكرسي بطبيعة الحال أحداثاً هامة منها مثلاً الندوة الأولى بعنوان "المواطنة الديمقراطية والتعليم الفلسفي وثقافة السلام في أمريكا اللاتينية والكاريبية" في عام 1997، ولكنه صب جل اهتمامه على تداول الشخصيات الفلسفية وتنظيم تدريب فلسفي للباحثين والأساتذة المرموقين، وعلى الحوار الفلسفي على الصعيد الوطني والإقليمي والأقليمي والدولي مشجعاً تفاعل الفلسفة مع الثقافة والعلوم. ونشر هذا الكرسي سلسلة هامة من الكتب مع دار النشر Monte Avila.⁶³

وكرسي اليونسكو الجامعي للفلسفة في باريس، وموضوعه فلسفة الثقافة والمؤسسات، هو كرسي ذو رسالة أوروبية مقره في جامعة باريس الثامنة، وغرضه تحديد شروط حصول حكم الحقيقة، وربما تهيئة هذه الشروط من جديد لكي يتاح للثقافة والمؤسسات تطبيق حكم الحقيقة في مجال العمل والرغبات والإبداع بنفس النهج الموضوعي المفترض في تطبيق العلميين لهذا الحكم في مجال المعرفة. والكرسي ذو رسالة أوروبية، انطلاقاً من الوعي بضرورة التغلب على إرادة تركيز السلطة في أوروبا التي تحرك في العصور الحديثة العقل العملي الأعمى، وذلك عن طريق إخضاع مجال الحياة الثقافية والاجتماعية لمحاكمة العقل النظري الذي طالما أوحى وأرشد الثقافة والمؤسسات لكي يجعل منها مكانات

⁶² Memoria y identidad, Edición a cargo de Rodrigo Alvaay, Humberto Giannini y Sonia Saenz, Editorial Sudamericana, 2000

⁶³ Cette collection de la Chaire UNESCO de Philosophie de Caracas a publié entre autres Javier Sasso : *La filosofía latinoamericana y las contrucciones e su historia* ; Ernesto Mayz Vallenilla : *Invitacion al pensar del siglo XX* ; Masimo Desiato : *Nietzsche*

للتحرر المتبادل. ولذا أخذ على عاتقه العمل على أن يُعترف بالتأمل الفلسفي كمنحى حياتياً يجعل من تشاطر الحقيقة الشرط الوحيد والأوحد للحرية الفردية والجماعية. وقد أسندت مسؤولية هذا الكرسي للبروفسور جاك بولان، مدير قسم الفلسفة بجامعة باريس الثامنة، الذي يسعى من خلال أعماله منذ ما يزيد على ثلاثين عاماً إلى نقد البراغماتية والتوافق الأعمى حولها وينادي بالعودة إلى الحكم الفلسفي النقدي المطبق بالفعل في الاتصال والثقافة والمؤسسات⁶⁴، ويبدل نشاطاً وافراً منذ الحلقة الدراسية الأولى "الحق والديمقراطية والفضاء العام" في عام 1997. وشارك في هذه الحلقة ريتشارد رورتي ويوغن هابرماس اللذان حازا بهذه المناسبة على دكتوراه فخرية من جامعة باريس الثامنة⁶⁵. ويوفر هذا الكرسي منبراً دولياً فريداً لتعاطي الفلسفة ونشرت في إطاره مطبوعات كثيرة⁶⁶، كما أفضى إلى تأسيس معهد أوروبي للثقافة بدعم من مجلس أوروبا.

أما كرسي اليونسكو الجامعي للفلسفة في سيول (جمهورية كوريا) فقد اهتم بموضوع نقل الفكر الفلسفي ومفهوم الديمقراطية ووضع تحت إشراف البروفسور إن-سو تشا، الأستاذ بجامعة سيول. وهو يدرس طرائق انتقال المعارف الفلسفية والفكرة الديمقراطية من خلال التصور الذي تكونه عنها الثقافات الآسيوية في ظل احتكاكها بالحدثة. وهو يواصل أنشطة شبكة آسيا والمحيط الهادي للتعليم الفلسفي من أجل الديمقراطية (APPEND) وينظم لقاءات كل سنتين في الموضوعات التالية: الفلسفة والديمقراطية في آسيا (سيول، 1999)؛ التعليم الفلسفي في الألفية الجديدة (بانكوك، 1998)؛ العلم والقيم (طوكيو، 2000)، وقد نشرت نتائج كل هذه اللقاءات⁶⁷. وبمناسبة اللقاء الرابع الذي عقد في سيدني (2002) اشتركت الشبكة مع كرسي اليونسكو الجامعي للفلسفة في إصدار مجلة فلسفية متميزة أفسحت مجالاً فريداً للحوار والتبادل فيما بين الأوساط الفلسفية في آسيا والمحيط الهادي التي بعثها التاريخ⁶⁸.

وموضوع كرسي اليونسكو الجامعي للفلسفة في مدينة تونس (تونس) هو :
الفلسفة وتجربة الغيرية في الحوار الأورومتوسطي. وهو يطرح قضية تجربة

⁶⁴ Jacques Poulain : *La condition démocratique, leçon inaugurale de la Chaire UNESCO de Philosophie de Paris*, Paris, Editions L'Harmattan, 1966.

⁶⁵ أتاحت كراسي اليونسكو الجامعية منح شهادات دكتوراه فخرية، وبالأخص لجامعة باريس الثامنة، لريتشارد رورتي ويوغن أوبرماس ولأمبرتو جيانيني وماريلينا دي سوزا شاولي

⁶⁶ Voir entre autres Jacques Poulain (dir) : *Les possédés du vrai ou l'enchaînement pragmatique de l'esprit*, Editions Le Cerf, 1998 ; *Guérir de la guerre t juger la paix*, Colloque à l'UNESCO, Préface de Daniel Janicot. Editions L'Harmattan, 1998 ; *Penser au présent*, Editions L'Harmattan, 1999 ; *la modernité en questions*, Editions L'Harmattan, 1999.

⁶⁷ Voir *Philosophy and democracy in Asia*, et, *Teaching Philosophy for democracy*, Edited by Philip Cam, In-Suk Cha, Mark Tamthai, Korean National Commission for UNESCO, 1997/1999, Collection de la Chaire UNESCO de philosophie de Seoul.

⁶⁸ *Humanitas Asiatica*, An International Journal of Philosophy, Seoul, Philosophy and Praxis, www.humanitasasiatica.com.

الأخر باعتبارها عاملاً أساسياً في بناء كل مجتمع وفي تلاحم الأمة وتكوين الذاتية. فكيف يكون المجتمع تصويره للأخر المختلف عنه؟ وكيف يبني مختلف أفراد الجماعة الواحدة رؤية معينة لما لا يماثلهم؟ وكيف يمكن تصوّر معرفة الأخر سواء كان الأخر الأجنبي أو الجنس الأخر أو الحيوان أو الطبيعة؟ ويشرف على هذا الكرسي الأستاذ فتحي التريكي بجامعة تونس، وهو صاحب مصنفات بعضها بالعربية وبعضها الفرنسية ترجمت إلى عدة لغات تناول فيها بشكل منهجي مفهوم الضيافة والغيرية و السلوك المتمدن. وجرى في إطار هذا الكرسي أيضاً منذ عام 1997 تنظيم العديد من الندوات الدولية الهامة بالإضافة إلى الدورات الدراسية والمحاضرات. وبات إشعاعه ينتشر في منطقة البحر المتوسط بأسرها ويملك فرعاً في جامعة قسنطينة (الجزائر).

ويهتم كرسي اليونسكو للفلسفة في أنقرة (تركيا) بدراسة موضوع فلسفة حقوق الإنسان بهدف التعمق في أسس حقوق الإنسان ودعواها العالمية والنموذج المنظم للمعايير التي تقوم عليها. وتشرف على هذا الكرسي الأستاذة يوانا كوثرادي التي عرفت بدفاعها عن حقوق الإنسان وأنشأت في جامعة هاسيتيبي بأنقرة مركزاً للدراسات الفلسفية الدولية بشأن حقوق الإنسان، كم أنها تتولى رئاسة الاتحاد الدولي لجمعيات الفلسفة. وهي تقوم بشكل دوري منذ عام 1998 بتنظيم ندوة عن حقوق الإنسان في تركيا وفي العالم لا تستقطب اهتمام الفلاسفة فحسب بل كل الذين يكافحون في إطار الجامعة والدولة والمجتمع المدني من أجل صون حقوق الإنسان وإعمالها.⁶⁹

أما موضوع كرسي اليونسكو للفلسفة في مونتريال (كندا) فهو دراسة الأسس الفلسفية للعدالة والمجتمع الديمقراطي. وهو يطرح مسألة العدالة وأشكال الالتباس التي تشوب تصوراتها وكيفية تجسدها في النيولبرالية والتعددية الثقافية الحديثة. وتشرف عليه البروفسورة جوزيان بولاد أيوب، أستاذة الفلسفة في جامعة كيبيك بمونتريال، والأخصائية في الفلسفة السياسية وفلسفة الحقوق، ونُظمت في إطاره العديد من حلقات التأمل وعدة حلقات بحث نقلت بواسطة الفيديو في موضوعات العولمة وحكم القانون، والعدالة الاجتماعية والاقتصاد النيولبرالي، والديمقراطية بكل حالاتها، والكوني والمفرد، ولايقينيات التضامن، الخ.. وهو كرسي ذو طابع

⁶⁹ Human Rights in Turkey and the World in the Light of Fiftyyears Experience, Ioanna Kuçuradi dir., Ankara, Hacettepe University, 2000.

مشترك بين التخصصات وقيم الصلة بين الشمال والجنوب من خلال التواصل والتشارك مع عدة بلدان افريقية.⁷⁰

إن كراسي اليونسكو الجامعية الثمانية للفلسفة تشكل اليوم بلا شك تجربة واجبة لكل سياسة تنتهجها اليونسكو في مجال الفلسفة، لأنها تقيم علاقة مبتكرة ودائمة بين داخل المؤسسة وخارجها. واليونسكو لا يسعها أن تحل محل الأوساط الفلسفية في العالم ولكنها تشعر بالحاجة إلى استلهاها في وضع التصورات الفكرية لمثلها، هذه المثل التي تقتضي من اليونسكو على الدوام، كما رأينا، وضع الأدوات الدولية المناسبة في خدمة الدراسات الفلسفية ووضع الفلسفة في خدمة التربية الدولية للشعوب وتكوين الفكر العام.

من اللقاءات الفلسفية إلى اليوم العالمي للفلسفة:

الفلسفة للجميع

كما أنت اليونسكو إلى الفلسفة أتى الفلاسفة أيضاً إلى اليونسكو. فقد جاءها الفلاسفة في زمن تأسيسها عندما نظمت شهر الفلسفة بمناسبة انعقاد مؤتمرها العام، وجاءوها بمناسبة المؤتمرات والندوات والاحتفالات التي نظمت فيها على مدى خمسين عاماً. ولكن اليونسكو شهدت في العقدين الأخيرين تجربتين جديدتين كانتا وليدتي الحاجة إلى البرهنة أمام العالم أجمع على أن اليونسكو لا تزال اليوم وأكثر من أي وقت مضى دار الفلسفة.

فكيف انتقلت اليونسكو من اللقاءات الفلسفية إلى اليوم العالمي للفلسفة؟

وضع الفلسفة في متناول الجمهور

بدأ عقد اللقاءات الفلسفية بإرادة فيديريكو مايو وتولت تنظيمها السيدة أيام واصف-سورو وكانت ترمي إلى جمع فلاسفة وعلماء وفنانين من شتى الجنسيات حول قضية واحدة وفتح مجال التفكير والحوار العام بشأن تلك المسألة. وعُيِّنت لتحضير هذه اللقاءات هيئة متميزة ضمت فيما يخص اللقاء الأول جوديث شلانغر وإحسان نرجي ونيكول دارنيل وجان دورمسون. ولم يكن المقصود بها الخروج بتوافق في الآراء وإنما توفير مساحة تطرح فيها الأفكار على كثرتها واستطراداتها وتناقضاتها بل وفوضائها، وإفساح الوقت للتفكير الملي والصعب أحياناً ورصد وجوه المشاركين وحركاتهم وتردداتهم والإصغاء إلى صوتهم، ولا سيما صوت الجمهور. وكان موضوع أول اللقاءات الذي نظم في آذار/مارس 1995 الإجابة عن السؤال: ما الذي نجعله؟ وهو سؤال يعبر عما يعتمل في المنظمة عشية ذكرى مرور خمسين عاماً على إنشائها من تساؤلات بشأن المعرفة والجهل وما يربط بينهما من صلوات متشابكة متداخلة وبشأن المفارقة المتمثلة في أن كل خطوة نخطوها على طريق المعرفة توسع حتماً آفاق جهلنا. وقد شارك في اللقاء كثيرون منهم Bernard Williams و Paul Ricoeur و Stephen Jay

In-Suk و Dorothy Blake و مصطفى صفوان و Haim Zafrani و Gould و Cha و René Thom و Roger-Pol Droit و Jean Dormesson. وفي العام التالي (آذار/مارس 1996) كان السؤال المطروح "من نحن؟" حيث الضمير "نحن" لا يحيل، بحسب الفيلسوف الأمريكي ريتشارد رورتي Richard Rorty ، عضو الهيئة الجديدة المعنية باللقاءات، إلى المفهوم البيولوجي للجنس البشري وإنما يدعو إلى الاختيار بين ثقافة يعني فيها هذا الضمير "نحن، المثقفين المتمتعين بدرجة معقولة من اليسر لا نحتاج معها إلى العمل الشاق لئلا نموت جوعاً" وبين ثقافة أخرى يعني فيها "نحن، كل المواطنين في جميع الدول الأعضاء في الأمم المتحدة"، ومن ثم فإن السؤال يطرح حتماً مشكلة الأغنياء والفقراء. وشارك في هذا اللقاء سليمان بشير دياغني و Gianni Vattimo و Geneviève Fraisse و Pilar Echeverria de Ocariz و Axel Honneth و Gilles Châtelet و Vitali Tselishchev و Angèle Kremer-Marietti .

أما ثالث اللقاءات الذي عقد في أيلول/سبتمبر 2003 ونظمه جيروم بيندي، مساعد المدير العام بالإنابة للعلوم الاجتماعية والإنسانية، فقد عدل صياغة هذا السؤال الذي أصبح "من يعرف؟". وكان من ضمن المشاركين فيه و Luc Montagnier و Paulin Hountondji و Kristof Nyiri و Régis Debray و Peter و Scott و Jacques Attali و Jean-Joseph Goux و إيليا زريق و Tadao و Takahashi و Dominique Lecourt و Julia Kristeva و Youri و Hide Ishiguro و Afanassiev و سليمان بشير دياغني و Jean و D'Ormesson. فطرح التساؤلات من زاوية توارث المعارف وشروط ولادتها وتناقلها وتبني ملكيتها أو استلابها في عصر العولمة في محاولة لإعطاء العولمة وجهاً إنسانياً.

قضية الأخلاق مسألة بين العالمي والإنساني

لا تستطيع اليونسكو أن تستغني عن الفلسفة. وإذا كان الفلاسفة يجدون في اليونسكو حيزاً للتبادل الفكري ووضع العمل الفلسفي في متناول الناس فإنه يتعين على اليونسكو من جهتها أن تراجع نفسها على الدوام لاستيضاح المهام المطلوبة

منها كمنظمة دولية ولمّ شمل أوساط الفكر من جديد لإفساح المجال للتداول على المستوى العالمي⁷¹.

كان Richard Rorty يريد أن يضع حصيلة أخلاقية للمجتمعات الغنية. وثمة طريقة أخرى لطرح مسألة الأخلاق تتمثل في إمعان الفكر في شروط إرساء الأسس الأخلاقية للقرن الحادي والعشرين. فُنظمت عدة اجتماعات نوقش فيها برنامج للأخلاق العالمية في باريس ونابولي أولاً (1997) ثم في سيول وبورتو-نوفو ولوند (1999) وانتهت في باريس في أيلول/سبتمبر عام 2001 بإصدار تقرير⁷² - أعد بمبادرة Yersu Kim وكان آنذاك مسؤولاً عن قسم الفلسفة الذي أصبح قسم الفلسفة والأخلاق. وشارك في هذا الحوار الجدلي الصاخب كل الذين يضعون فكرة الأخلاق العالمية في صميم تساؤلاتهم من Hans Küng إلى Michael Walzer ومن Onuma Yausaki إلى Karl-Otto Appel ومن Jacques Poulain إلى Osvaldo Gualiglia. وبذلك وضعت مسألة عالمية اليونسكو في صلب مُثلها. بيد أن القضية المطروحة تتمثل في المفاضلة بين سبيلين لبناء النموذج العالمي: سبيل يزعم التوصل إلى أصغر القواسم المشتركة فيما بين اللغات والقيم الثقافية وبين الشعوب، عن طريق جمع الوقائع ومراكمتها؛ وآخر يعمد إلى اطراح الاختلافات سعياً إلى بناء مثال عقلاني قادر على التجسد في الواقع. وهو جدل فلسفي لا بد منه في كل نشاط تقوم به اليونسكو في مجال الأخلاق - ابتداء من أخلاقيات البيولوجيا وحتى أخلاقيات العلوم والتكنولوجيا. ويتجاوز حدود الفلسفة ولكنه لا يستطيع الاستغناء عنها، ذلك لأن المراد، بحسب تعبير ميراي دلماس-مارتي Mireille Delmas-Marty، إنما هو بكل بساطة وضع حدود منيعة لحماية ما لا يختزل في الإنسان.

وما هو مفهوم الإنسانية اليوم؟ إنه، شأنه شأن مفهوم العالمية، تصور يحتاج إلى تفكيك وإعادة بناء. فقد نظمت اليونسكو في يومي 15 و16 شباط/فبراير 2001 لقاءات لكراسي اليونسكو الجامعية في الفلسفة وأخلاقيات البيولوجيا وحقوق الإنسان والديمقراطية والتسامح لمناقشة هذا المفهوم بمساعدة Michèle

⁷¹ Ayyam Wassef: *Qu'est-ce qu'on ne sait pas ?*, Dans *Diogène*, janviermars 1995. Voir aussi *Qu'est-ce qu'on ne sait pas ? Les rencontres philosophiques de l'UNESCO*, et *Qui sommes-nous ?*, Textes présentés et établis par Ayyam Sureau, Paris, Gallimard 1996 et 1997.

⁷² *L'éthique pour le XXIe siècle*, SHS- 2001/WS/14.

Gendreau-Massoloux، رئيسة الوكالة الجامعية للفرنكوفونية، وبمشاركة Tanela Boni-Koné (أبيدجان) و Josyane Boulkad-Ayoub (مونتريل)، و Michael Benedikt (فيينا)، و Bérard Cénatrus (بورت-أو-برنس) و Stéphane Bachir Diagne (داكار)، و Ivaylo Ditchev (صوفيا)، و Roger-Pol Droit (باريس)، و Artan Fuga (تيرانا)، و Paulin Houtondji (كوتونو)، و Wolfgang Kaempfer (هايدلبرغ)، و Abdoulaye Elimane Kane (داكار)، و Ioanna Kuçuradi (أنقرة)، و Georges Kutudjian (مدير قسم أخلاقيات البيولوجيا الذي ضم إليه قسم الفلسفة قبل ذلك بفترة وجيزة)، و Kimani Wa Njoroge (نيروبي)، و Oscar Nudler (باريلوش)، و Jacques Poulain (باريس)، و Gloria Ramirez Hernandez (المكسيك)، و Mark Tamthai (بانكوك)، و فتحي التريكي (تونس)، و Patrice Vermeren (باريس)، و Maria Dolores Vila Coro (مدريد)، و Susana Villavicencio (بوينس آيرس)، و Christophe Wulf (برلين). وعبر فتحي التريكي عن إحدى النتائج التي يمكن أن يتمخض عنها هذا التأمل على النحو التالي: *إن الأخلاق الديمقراطية قادرة على تحويل الهوية الاجتماعية المكتسبة بطريق النسب أو القربى أو الأصول إلى تعايش لا يستبعد أحداً يكون منفتحاً على الآخرين وعلى العالم الخارجي وعلى الإنساني عموماً. ولن تنتصر البشرية اليوم إلا إذا تغلبت على الذاتية التقنية العلمية لإنسان اليوم من خلال جهد متواصل وخلاق للتعايش الديمقراطي*⁷³.

يوم الفلسفة

كانت آخر مبادرات اليونسكو في مجال الثقافة الاحتفال بيوم الفلسفة الذي قد يصبح قريباً اليوم الدولي للفلسفة. وقد بدأ الاحتفال بهذا اليوم في عام 2002 بمشاركة كل الأوساط الفلسفية في جميع بلدان العالم. وهو يقوم على فكرة عبر عنها المدير العام للمنظمة قائلاً: *إن ما أريد أن أدعمه وأقويه إنما هو الفعل الفلسفي ذاته، ذلك الفعل الذي يجمع بين التفكير والتحليل ومراجعة الذات، سواء فيما يتعلق بمفاهيم باتت تعتبر من المسلمات، أو بأفر فقدت بريقها على مر الزمن، أو بنماذج فكرية*

⁷³ Fathi Triki : *Convivialité et éthique démocratique*, conférence aux Rencontres *L'Humanité aujourd'hui*, Editions de l'UNESCO, 2003.

قُبلت منذ دهور⁷⁴. فعل فلسفي جامع يجعل من الحق في الفلسفة للجميع واقعا معيشاً ويتناول الفلسفة في واقعها الراهن. وهو ما تتم عنه الموضوعات التي تناولتها اجتماعات المائدة المستديرة المنظمة بمناسبة يوم الفلسفة في مقر اليونسكو، وتناولت في عام 2002: الفلسفة والتنوع الثقافي، الفلسفة والمعرفة، العدالة والفقر والسلام في العالم؛ الفلسفة والانعتاق؛ العلم والأخلاق؛ الفلسفة ووسائل الإعلام؛ وفي عام 2003: الحوار الفلسفي حول البحر المتوسط؛ الفلسفة والقضايا المعاصرة؛ المعرفة والسلطة؛ الحرب والمصالحة؛ العدالة والعولمة؛ المدينة والفلسفة؛ والإنسان وتنوع الثقافات؛ والعقلانية والإعلام؛ ومستقبل الفن أو إنذار الجسد. وقد ساهمت فيها كل المؤسسات الفلسفية بدءاً من المعهد الدولي للفلسفة وحتى أولمبيادات الفلسفة في المدارس الإعدادية والثانوية. ويحتفل بهذا اليوم الدولي في جميع أنحاء العالم ويكون مناسبة لإطلاق مبادرات خلاقة وغير منتظرة هي دليل على التوق إلى العيش وممارسة الفلسفة في عالم أكثر إنسانية. فتوفير مكان وزمان للفلسفة كان من السبل التي سلكتها اليونسكو لتحقيق رسالتها وقد أقامت اليونسكو دوماً صلات وثيقة مع الفلسفة كتساؤل نقدي يرمي إلى استجلاء معنى الحياة والعمل، ولذا لا يسعها، في عالم باتت فيه مسألة المعنى تبدو مغيبية، أن تستغني عن الفلسفة في المستقبل، وهي المنظمة التي تشربت الفلسفة أكثر من أي منظمة أخرى في منظومة الأمم المتحدة. لذا يتعين عليها اليوم أن تعمل بكل عزم على تشجيع البحث الفلسفي وتناقل الفلسفة في العالم، ولكن عليها أيضاً أن تصوغ برامجها الخاصة في هذا المجال وتعيد النظر على الدوام في المفاهيم التي تحكم المبدأ الناظم لمهمتها على ضوء الروح الناقدة التي يملكها كل فيلسوف في العالم ولكنها تحرك أيضاً كل فرد يستعمل عقله بحرية، فعلى ذلك يتوقف وجود اليونسكو وترتهن مسألة تحرر الإنسان المطروحة على الدوام. وإذا كانت اليونسكو قد اعتنقت الفلسفة فذلك لأنه لا وجود لليونسكو بدون الفلسفة.

⁷⁴ رسالة كويشيرو ماتسورا بمناسبة الاحتفال الأول بيوم الفلسفة في اليونسكو، بتاريخ 21 تشرين الثاني/نوفمبر 2002.